

الباب الثالث العمائر المدنية

obeikandi.com

الفصل الأول

العمارة التجارية

obeikandi.com

ضمت الأحياء موضوع البحث العديد من المنشآت ذات الصفة التجارية مثل الحوانيت والقياسر والوكالات، عبر عصورها المتعاقبة، ومعظم هذه المنشآت درست معالمها، ولم يتبق منها سوى وصف بعضها ضمن وثائق وقفها مثل: قيسارية بيبرس الجاشنكير، ووكالتى الأمير مصطفى جوريجى القبرصلى، وبعضها لازال يحتفظ ببعض معالمه رغم سوء حالته، مثل وكالة الشرايبي دون أن يكون لها وثيقة وقف بجانب هذه المنشآت، ضمت الأحياء منشآت أخرى لها نفس الصفة درست معالمها، ولم أعثر لها على وثائق وقف تفيد فى بيان تخطيطها وعناصر عمارتها، سبق ذكرها عند الحديث عن تطور العمران.

وفى هذا الفصل ألقى الضوء على المنشآت ذات الصفة التجارية التى لازالت باقية، وكذلك الدارسة التى تحتفظ بنص وثائقى يصفها ويحدد معالمها.

ويشمل الحديث عن العمارة التجارية الباقية: وكالة الشرايبي أما العمارة الدارسة فتشمل: قيسارية بيبرس الجاشنكير، ووكالتى مصطفى جوريجى القبرصلى.

أولاً: العماائر الباقية

وكالة الشرايبي أثر (٤٦٠):

شيدها الجناب المكرم الخواجه محمد الداا الشرايبي لصق الحمام وذلك قبل سنة (١١٣٧هـ / ١٧٢٤م)^(١)، وهى لازالت تحتفظ بتخطيطها وواجهتها الأثرية، فضلاً عن طوابقها العلوية التى سكنها الأهالى، وأسأؤوا إليها كثيراً.

الوصف المعمارى :

الواجهة الرئيسية : (انظر: ش ٤٢) (لوحة ٤٨، ٤٩)

تلاصق هذه الواجهة واجهة الحمام، ويتوسطها باب الدخول، وهو من الأبواب المقنطرة المعقودة بعقد نصف دائرى، يبلغ اتساع المدخل (٢, ٥٠م)، وارتفاعه (٢, ٨٠م) وارتفع الشارع عن منسوبه الأصلى مسافة (٦٠سم) مما يشير إلى أن ارتفاعه كان (٣, ٤٠م)، يزدان عقده بزخارف دالية متداخلة، ويحيط به جفت لاجب ينعقد فى ميمات سداسية، يعلوه جفت آخر يشكل مع السابق كوشتى عقد المدخل وهو يشبه السابق فى ميماته يعلوه آخر بنفس الشكل، يعلو ذلك نافذة مستطيلة ارتفاعها (١ م) وعرضها (٨٠سم) عليها أرماع

(١) الجبرتى: عجائب الآثار، ج١، ص١١٦، ١١٧.

خشبية وعلى جانبيها زخارف منفذة بالحفر عبارة عن وريادات داخل مربعات، وكذلك أشكال نباتية مجردة يعلو النافذة بحر مستطيل يشغل الجانب الأيسر منه زخرفة دائرية مسننة منفذة بالحفر، ويبدو أن هذا البحر قد كان يتضمن بعض الكتابات إلا انها فقدت الآن.

وهذا التكوين المعماري للمدخل وضع داخل حجر يتوجه عقد موتور ذو مقرنصات، يعلوه دائرة كبيرة محاطة بأربع دوائر يحيط بالمدخل والعقد موتور جفت لاعب يتعقد فى ميمات سداسية كالتى تعلو عقد المدخل، وهذه الكتلة المعمارية التى يتوسطها عقد المدخل يبلغ ارتفاعها (٩٠، ٧م) وعرضها (٧٠، ٤م).

يلى هذا المدخل من جهته اليسرى، جزء من الواجهة يبلغ عرضها (٣٠، ٤م) وارتفاعها (٣٠، ٩م). يتخلل هذا الجزء نوافذ حجرات الطابق الثانى للوكالة والمخصص للسكنى^(١)، وبعض الزخارف الهندسية والنباتية مثل النجمة السداسية المتداخلة مع أشكال دائرية. وبعض الأشكال المروحية، والنباتية. ورسم للطبر^(٢) والعصا بجواره مما يشير إلى بعض الرموز الوظيفية.

ينتهى هذا الجزء من الواجهة بشطف يدل على وجود طريق آخر تشرف عليه الواجهة الأخرى للوكالة (الشمالية الشرقية). ويتضح فى هذا الجزء بعض الحرمانات التى كانت تحمل واجهات الطوابق العليا، حيث لاتزال بقايا الطوابق العليا ترى من هذه الواجهة.

الوكالة من الداخل : (انظر المسقط الأفقى للطابق الأرضى ش ٤٣)

يؤدى المدخل السابق إلى دركاة مستطيلة أولى أبعادها (٨٣، ٦٦×١م) تؤدى إلى دركاة ثانية يغطيها قبو متقاطع (لوحة ٥٠) أبعادها (٥٠، ٦٦×٢م) يقع بها على يسرة الداخل مدخل مستحدث يؤدى إلى أحد حواصل الوكالة المتداخل مع حواصل آخر.

تؤدى الدركاة الثانية إلى صحن الوكالة، وهو صحن مستطيل تقريباً أبعاده (٩×١٠م)، تفتح عليه حواصل الوكالة التى يبلغ عددها تسعة عشر حاصلاً معقودة بعقود مديبة منخفضة خموسة يتقدمها جميعها مساحات مستطيلة خصصت لعرض السلع التى يضمها الحاصل، والتى كانت عبارة عن بضائع عطرية تخصصت فى بيعها هذه الوكالة،

(١) على مبارك: الخطط، ج٣، ص ١٧٠.

(٢) الطبر: الفأس. والطيردار: ممسك الفأس، انظر: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، ج٢، ص ٧٣٥.

يتقدم حواصل الوكالة من الجهات الأربع بانكة غير معقودة مكونة من صف من الأعمدة عددها ثلاثة مصنوعة من الخشب تحمل سقف الممر الذى يتقدم حجرات الطابق الثانى.

أما الحواصل فقد وزعت بحيث يحتل الجهة الجنوبية الشرقية أربعة حواصل: الأول يودى إليه باب معقود بعقد مدبب يقع على يمنة الداخل إليه حاصل صغير أبعاده (م١, ٥×م١). أما الحاصل فيبلغ طوله (٦٦, ٤×٥, م٢) يغلق عليه مصراع خشبى تأخذ قمته هيئة الاعتد الخاص بمدخل الحاصل يجاور هذا الحاصل الحاصل رقم (٢)، وهو ذو مدخل مدبب يودى إلى مساحة أبعادها ٤, ٥ × ٢, ٥ يجاوره الحاصل رقم ٣، وهو أيضاً ذو مدخل معقود بعقد مدبب يودى إلى مساحة مستطيلة تتقدم الحاصل أبعادها (٦٦, ١×م١) تودى إلى الحاصل الذى تبلغ أبعاده (٣٣, ٣×م٣) يجاوره الحاصل رقم (٤)، وهو أيضاً ذو مدخل معقود بعقد مدبب يودى إلى مساحة مستطيلة تتعامد على الحاصل أبعادها (١, ٦٦×م١)، والحاصل أبعاده (٦٦, ٤×م٣)، أما حواصل الجهة الشمالية الغربية فيبلغ عددها أربعة أيضاً الأول: يودى إلى مدخل ذو عقد مدبب وهو ذو مساحة ضيقة تلى المدخل طولها (٦٦, م١)، تتسع بعد ذلك ليصبح الحاصل أبعاده (٦٦, ٥×٢, م٤) يجاوره الحاصل الثانى الذى يلى الممر الدائرى ذى الأعمدة الحاملة لسقف الممر الذى يتقدم حجرات الطابق الثانى، وهذا الحاصل مساحته تستدق مما يلى المدخل لمسافة (٣٣, م١) وعرض (٥, م٢) تصبح بعد ذلك (٦٦, ٢×٨٣, م٢). يجاور هذا الحاصل سلم يصعد منه إلى مساكن الوكالة، شيد داخل مساحة مستطيلة أبعادها (٣٣, ٦٦×٣, م٢) يجاوره الحاصل رقم (٣) وهو حاصل صغير أبعاده (٦٦, ١×م٢) تتقدمه مساحة مستطيلة الشكل كالتى تتقدم جميع الحواصل تقريباً مع اختلاف مساحاتها، يجاوره الحاصل رقم (٤) وهو يشابهه معه تقريباً فى المساحة يصل إليه الداخل من خلال ممر الأعمدة الشمالية الشرقية.

وبهذه الجهة أربعة حواصل أيضاً الأول منها مساحته (١٦, ٣×١٦, م٤) يليه حاصل آخر (رقم ٢) مساحته (٦٦, ٤×١٦, م٢)، يجاوره الحاصل رقم (٣) ومساحته (٨٣, ٤×٣٣, م٢)، يجاوره الحاصل رقم (٤) وتبلغ مساحته (٨٣, ٤×٣, م٢)، يقابل هذه الحواصل الأربعة سبعة حواصل فى الجهة الجنوبية الغربية: الأول: مساحته (٥, ٢×٤, م٤)، والثانى: مساحته (٦٦, ٣×١٦, م٣)، والثالث: مساحته (٦٦, ٥×٢, م٤)، والرابع: مساحته (٥٠, ٢×٣٣, م٤)، والخامس: مساحته (٥٠, ٢×٣٣, م٤)، أما السادس والرابع

والذى يتوصل إليهما الآن من باب فى الدركاة الثانية فيبلغ مساحة الأول منهما (٣, ٦٦ × م٢) مع ضيق فى عرض الحاصل كلما اتجهنا جهة الجنوب الشرقى، أما السابع: فتبلغ مساحته (٢ × ٥٠, ٣ م)، وكان يتم التوصل إليهما من باب فى نهاية عمر الأعمدة بالجهة الجنوبية الغربية يجاور حاصل هذه الجهة رقم (٥).

وقد وزعت هذه الحواصل وفقاً لمساحاتها على مساحة من الأرض تبلغ (٨٣, ٦٦ × ٢٥, ٦٦ م = ٦٨٩ م^٢) ستمائة وتسعة وثمانون متراً مربعاً تقريباً. يؤدى السلم الذى يتوسط الجهة الشمالية الغربية إلى الطابق العلوى والذى يشتمل على غرف للإقامة يتقدمها ممر دائرى يحيط بها فى الجوانب الأربعة. تشتمل هذه الحجرات على منافع ومرافق وحقوق مثل بيوت الخلاء، والمستترقات العلوية التى تؤدى إليها سلالم داخلية كما أن الحجرات التى تطل على الواجهات الخارجية كانت تشرف عليها بنوافذ تبقى منها ثلاث بالواجهة الرئيسية، ربما كانت مغطاة بسواتر خشبية مخروطة وهى فى ذلك تتشابه مع القيسارية التى سيأتى الحديث عنها، وكذلك الحجرات التى ضمتها وكالة الغورى فى الطوابق العلوية.

ويبلغ عدد هذه الحجرات عشرين حجرة تشتمل معظمها على سلالم تؤدى إلى مستترقات علوية تشغل الطابق الثالث استغلت للسكنى. (انظر المسقط الأفقى ش ٤٤).

التحليل المعماري والزخرفى :

اشتملت الوكالة على بعض العناصر التى يعد وجودها استمراراً لتلك العناصر التى تناوّلها البحث فى الفصول السابقة، مثل: العقد المدبب المنخفض الخموس، والعقد الموتور، أما العقد نصف الدائرى فاقد أشرت إليه أيضاً عند الحديث عن جامع المغربى (المعروف بابن العربى)، وهو هنا أسبق من حيث الظهور فى منشآت الأحياء (موضوع البحث) كذلك تشابهت الوكالة فى تخطيطها ومساكنها العلوية مع مثيلاتها المملوكية. ولم تشذ عنها اللهم إلا فى استعمال الأعمدة الخشبية التى تحمل سقف ممر تفتح عليه أبواب الحجرات وهذا الممر كان له على ما يبدو درابزين خشبى يحمى المار به من السقوط فجاءة إلى أسفل، وهذه الأعمدة لا تنتهى بعقود كما هو الحال فى الوكالات المملوكية، وإنما يركز عليها مباشرة سقف الممر، فضلاً عن ذلك فإن واجهة الحجرات لا تطل على الصحن مباشرة وإنما تطل على الممر.

أما العناصر الزخرفية، فقد اشتملت واجهة الوكالة على بعض العناصر أشرت إليها سابقاً مثل الزخارف النباتية المنفذة بالحفر داخل دوائر والتي شكلت بهيئة مروحية، بالإضافة إلى ظهور بعض الرموز (الطبر والعصا) على واجهة هذه الوكالة، والتي كانت ترمز في العصر المملوكي إلى ممسك الفأس والذي كانت مهمته حمل الطبر والفأس حول السلطان عند ركوبه في المواكب وغيرها لحراسته، كما كان الطبردارية يمشون أما السلطان بأيديهم الأظفار بعد صلاة الجمعة والعيدين، وكان يتم اختيار الطبردارية من بين المماليك السلطانية. وكان أميرهم يسمى أمير الطبر^(١).

وظهور هذا الرمز على هذه المنشأة العثمانية يشير إلى وجود هذه الوظيفة في ذلك العصر، خاصة وأن صاحب الوكالة كان من أكبر الأثرياء في عصره وكانت حراسته من الأمور الواجبة، غير أن تسجيل أمر هذه الحراسة على واجهة الوكالة يشير كذلك إلى أن الوكالة في حراسة عدد من الموظفين الطبردارية لحماية التجار بها.

ثانياً: المنشآت الدارسة

١) قيسارية بيبرس الجاشنكير :

المنشئ :

هو السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الجاشنكير، ولى الإمارة أيام السلطان قلاوون، وصار من أكابر الأمراء في دولة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وولى وظيفة استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون عقب سلطنته، وظل بها فترة، ثم عزل وسجن وأعادته مرة أخرى الملك الناصر محمد عقب عودته إلى السلطنة، ثم تولى السلطة بعد خلع الناصر محمد بن قلاوون لنفسه من السلطنة وذلك يوم السبت ٢٣ شوال من سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٨م)^(٢). وقد أنشأ السلطان بيبرس خانقاة بالجمالية تعرف بالخانقاة البيبرسية وقف عليها جملة منشآت للصرف منها عليها، ومن هذه المنشآت قيسارية الجوذرية^(٣)، التي شيدها له "مجد الدين بن سالم الموقع قبل سلطنته بعام تقريباً"^(٤).

(١) حسن الباشا: المرجع السابق، ص ٧٣٥.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٣٣، ٢٣٢.

(٣) السلطان بيبرس الجاشنكير: وثيقة وقف ٢٣/دار الوثائق القومية، سطر ٩٦-١٢٣ وجه.

(٤) المقرئى: الخطط: ج ٢، ص ٨٩.

الموقع :

كانت هذه القيسارية تقع بخط الفحامين ودار الأمانط بالقرب من باب الجوزرية، حيث كانت تقع على يمينه السالك منه طالباً دار الأمانط وبين البابين، وعلى يسرة السالك من الأماكن المذكورة طالباً باب الجوزرية والملحين ودكة الحبسة وغيرها^(١)، وقد استمرت تحتل الموقع المذكور حتى شغلت مساحتها - زمن على باشا مبارك - ما عرف بالمشيخة^(٢)، وهي الآن تمثلها المنشآت الموقعة على الخريطة (ش ١٦).

الوصف المعماري الوثائقي :

اشتملت القيسارية على سبعة أبواب، منها خمسة تؤدي إلى باطن القيسارية:

الأول منها (رقم ١) بالشكل (٤٥)

وقد وصفته الوثيقة بأنه باب كبير بعتبة سفلية من الرخام، ويغلق عليه زوج أبواب كبار يؤدي هذا الباب إلى دهليز مسقف نقياً يؤدي إلى رحبة كبرى تشتمل على رواقين متقابلين مسقفين نقياً محمول سقفيهما على أربعة أركان مبنية بالحجر، وأحد عشر عموداً رخاماً وعمود واحد صوان.

بالإضافة إلى اشتمال هذا الجزء على بئر ماء معين مغطى بخرزة من الرخام، وكان يقع على يمين السالك من الدهليز رواق مسقف نقياً به دور قاعة برسم الضوء (شخشيخة) يؤدي إلى رواق آخر مستطيل مسقف نقياً اشتمل على أربع دور قاعات، من هذا الرواق كان يتوصل إلى الباب الثاني.

الباب الثاني

ويرمز له بالعدد (٢) بالشكل نفسه. وقد وصفته الوثيقة بأنه كان يشتمل على عتبة سفلية من الرخام، ويعلو العتب العلوى شبك من الحديد خصص للإضاءة يؤدي هذا الباب إلى سلم مبنى بالحجر النحيت يؤدي إلى باب يغلق عليه زوج أبواب يدخل منه إلى سلم معقود بالبلاط والجبس، بما حوته من مرافق وحقوق لإقامة الحارس المكلف بحراسة القيسارية.

(١) الوثيقة السابقة، سطر ٧٠-٧٢.

(٢) على مبارك: الخطط التوفيقية، ج ٣، ص ١٨١.

الباب الثالث

هذا الباب يجاور الباب الثانى، ويرمز له بالعدد (٣) بالشكل السابق وكان من الأبواب المربعة التى يغلق عليها زوج أبواب يعلو الباب شباك من الحديد برسم الإضاءة يؤدى هذا الباب إلى سلم مبنى من الحجر النحيت يؤدى إلى باب مربع كان يغلق عليه زوج أبواب يعلوه شباك من الخشب برسم الإضاءة يؤدى هذا الباب إلى سقاية. تشتمل على متبن وحوض لخنز الماء الطاهر، وذلك لسقى وإطعام الدواب الخاصة بتجار القيسارية.

الباب الرابع

ويرمز له بالعدد (٤) بالشكل نفسه، وقد وصفته الوثيقة فذكرت أنه كان يشتمل على عتبة سفلية من الرخام، ويغلق عليه زوج من أبواب من الخشب المصفح بالحديد^(١)، يؤدى هذا الباب إلى رواق مستطيل مسقف نقياً به سبع دور قاعات برسم الإضاءة (شخشيخة).

الباب الخامس

ويرمز له بالعدد (٥) بالشكل ذاته، وهذا الباب ذكرت عنه الوثيقة أنه كان يشتمل على عتبة سفلية من الرخام، ويغلق عليه زوج أبواب يؤدى هذا الباب إلى رواق كان له سقف نقى، ويشتمل على ثلاثة دور قاعات برسم الضوء.

الباب السادس

هذا الباب وقع على الشكل المذكور ويرمز له بالعدد (٦)، وقد ذكرته الوثيقة وقالت: إنه كان يشتمل على عتبة سفلية من الصوان، وكان يغلق عليه زوج أبواب، ويؤدى إلى دهليز مسقف نقياً يؤدى إلى سلم يصعد منه إلى باب مربع عليه فردة باب يدخل منه إلى طبقة لطيفة علو الدهليز تشتمل على مرحاض ومرافق وحقوق، خصصت للوكيلة التى كان يقع عليها مسؤولية الإشراف على القيسارية، مما يفسر دور المرأة آنذاك؛ أما باقى السلم فيؤدى إلى باب مربع بغير باب يؤدى إلى دهليز مستطيل سقف غشيماً بوسطه دور قاعة (شخشيخة) برسم الضوء، اشتمل على ثمان بيوت كل بيت اشتمل على إيوان ودورقاعة

(١) هذا النوع من الأبواب استعمل فى المنشآت المدنية مثل الوكالات والقياسر والفنادق وغيرها، أما المنشآت الدينية فقد استعملت بها الأبواب بالبرونز والمكتفة بالذهب والفضة. وكذلك البيوت والقصور عن الأبواب المصفاة انظر: طه عمارة: الأبواب المصفاة فى عصر السلطان حسن فى القاهرة، مخطوط رسالة ماجيستير، كلية الآثار ١٩٨١م.

مسقف ذلك نقياً، مصوق حريراً^(١) كذلك اشتمل كل بيت على مسترقة مسقفة غشيماً بكل منها سلم مبنى بالبلاط والجبس، وكذلك مرحاض ومرافق وحقوق، وطاقات وباب ريح^(٢) يغلق عليها طاقات خرك^(٣) برسم الضوء تطل على القيسارية باستثناء طبقة واحدة كانت تطل على رأس حارة الجوزرية.

بجانب هذه البيوت الثمانية اشتمل الدهليز على سلم معقود بالبلاط والجبس كان يؤدي إلى خمس طباق متجاوزة إحداها مطلة على الجوزرية، والأربع مطلة على القيسارية، اشتملت كل طبقة على إيوان ودور قاعة ذات سقف يتوسط كل منها دور قاعة (شخشيخة) برسم الضوء، ويتصدر الطباق طاقات وباب ريح تطل على القيسارية، كما اشتملت كل طبقة على مسترقة سقفت غشيماً. وكذلك مرحاض ومرافق وحقوق، يتوصل منه أيضاً إلى أربع عشرة طبقة مماثلة.

كما كان السلم الرئيسي يؤدي إلى مجاز أو دهليز ثان مسقف غشيماً يؤدي إلى اثنتي عشر طبقة مطلة على الطابق، اشتملت كل طبقة على إيوان ودور قاعة ومنافع ومرافق، وبصدر كل واحدة طاقات وباب ريح، وشبابيك خرط برسم الضوء، بجانب ذلك كان يتوصل من الدهليز إلى إحدى عشرة طبقة كانت تشتمل كل طبقة على إيوان ودور قاعة سقفت نقياً بصدر كل طبقة طاقات وباب ريح، كما اشتملت كل طبقة على مسترقة بكل منها سلم خشب ناقل يصعد من عليه إلى سطح ذلك، أما المسترقات فكان لكل منها باذاهنج^(٤) يعلوها.

الباب السابع

يرمز له على الشكل السابق بالعدد (٧). وقد ذكرته الوثيقة ووصفته بأنه مربع كان يغلق عليه زوج أبواب يعلوه شبك حديد برسم الإضاءة. يؤدي هذا الباب إلى سلم معقود بالبلاط يؤدي إلى ست طباق متماثلة، كل ثلاث طباق منها متجاوزة وتشتمل كل منها على إيوان ودور قاعة ومسترقة ومطيخ وسلم يصعد من عليه إلى سطح ذلك.

(١) انظر: معجم المصطلحات رقم (٢٦).

(٢) انظر: معجم المصطلحات رقم (٣).

(٣) انظر: معجم المصطلحات رقم (١٨).

(٤) انظر: معجم المصطلحات: مصطلح رقم (٧).

داخل القيسارية

تؤدى خمسة أبواب من السابق وصفها إلى داخل القيسارية، التي كانت تشتمل على ست فرجات^(١) سقفت نقياً يتوسط سقف كل فرجة دور قاعة (شخشيخة) يرسم الضوء بجانب ذلك اشتملت القيسارية من الداخل على مائة وخمس حوانيت كل حانوت كان معقود قبواً يغلق على كل منها زوج أبواب، وبواجهة كل حانوت مصطبة مبلطة ومسبلة بالبياض.

واجهة القيسارية القبليّة

اشتملت واجهة القيسارية القبليّة على ثمانى حوانيت معقودة قبواً، يغلق على كل منها زوج أبواب، أمام كل واحد منها مصطبة مسبلة الجدر بالبياض مفروشة الأرض بالبلاط^(٢).

الصفة المعمارية للقيسارية

شيدها الأمير بيبرس قبل ولايته السلطنة على قطعة من الأرض كان مشيداً عليها داراً تعرف بالأغماط اشتراها وما حولها ثم هدمها، وعمر موضعها هذه القيسارية والربع علوها، ونقل إليها تجار قيسارية جهاركس، وقيسارية الفاضل وألزمهم بإخلاء حوانيتهم من القيساريتين وسكناهم بهذه القيسارية، وأكرههم على ذلك، مقابل أجرة لكل حانوت قدرها مائة وعشرين درهماً، فلم يسع التجار إلا استئجار حوانيتها، وصار كثير منهم يقوم بأجرة الحانوت داخل القيسارية البيبرسية دون أن يترك حانوته الذى هو معه بإحدى القيسارتين المذكورتين.

بجانب هؤلاء التجار، نقل الأمير بيبرس إلى الحوانيت التى شيدها بواجهة القيسارية القبليّة وعددها ثمانية حوانيت صنّاع الأخفاف، فعمرت من داخلها وخارجها بالناس فى يومين، ثم خربت بعد أن ترك بيبرس السلطة وظلت هكذا فترة طويلة حتى سكنها صنّاع الأخفاف، بأجرة مبلغها عشرة دراهم لكل حانوت، وظلت هكذا حتى رآها على مبارك بعد أن تغيرت معالمها وفتح بجانبها عدة حوانيت لتصنيع البلغ البلدى ونحوها من مراكيب المغاربة^(٣).

وما سبق يمكن القول: إن القيسارية كانت عبارة عن بناء قد يكون مستطيلاً أو مربعاً

(١) انظر: معجم المصطلحات: مصطلح رقم (١٩).

(٢) المقرئى: الخطط، جـ ٢، ص ٨٦.

(٣) على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ ٣، ص ١٨١.

يشتمل على عدد من الحوانيت بالداخل والخارج، قد تقل وقد تكثر بحسب المساحة المشيدة فوقها، تخصص هذه الحوانيت لتجارة صنف معين من البضائع، وهى بذلك تتشابه مع الأسواق المعاصرة^(١)، وإن كانت تختلف عنها من حيث التخطيط، حيث إن الأسواق كانت تتكون من صفين من الحوانيت على جانبي شارع، أما القيسارية فإن الحوانيت التى كانت تشتمل عليها فإنها كانت ضمن بناء محدد المعالم مثل الخانات - والتي منها نماذج عديدة فى مصر وسوريا^(٢)، وكذلك الفنادق والوكالات، وقد عرفت هذه المنشآت منذ أقدم العصور بنفس الاسم، فهى مشتقة من لفظ يونانى يعنى السوق الإمبراطورية، مما يدل على أن الدولة هى الآمرة بتشيدها^(٣).

وعرفت هذه القياسر فى العصر الإسلامى حيث تشير المصادر التاريخية إلى العديد منها تعود للعصر الإسلامى الأول، واستمرت هذه المنشآت معروفة فى العصور التالية، ففى العصر المملوكى وجد منها نماذج عديدة فى كل من مصر وحلب ودمشق^(٤)، تعاصرها قياسر أخرى عرفت فى تركيا وكانت تخصص لبيع سلعة واحدة مثل الحرير، وغيره من الأقمشة الثمينة، غير أنها تختلف عن القياسر المملوكية فى أسلوب التغطية، فمن خلال الوصف السابق، أمكن الوقوف على أسلوب تغطية قيسارية الأمير بيبرس، وذلك باستعمال الأسقف الخشبية التى يتوسطها شخصيخة للإضاءة والتهوية. أما القياسر العثمانية فقد غطيت بالعديد من القباب، وهى ميزة انفردت بها تلك القياسر عن غيرها فى الأقطار الأخرى الإسلامية^(٥).

ويعتبر الوصف الوارد عن قيسارية بيبرس الجاشنكير بوثيقة وقفه، أقدم ما وصل إلينا من نصوص تصف هذا النوع من المنشآت، والتى أمكن بواسطته عمل مسقط أفقى تصورى لها (ش ٤٥) يوضح مكوناتها المعمارية حيث تميزت بكبر مساحتها واشتمالها على عدد ضخم

(١) أمال العمرى: المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصر المملوكى، مخطوط رسالة دكتوراه، ١٩٧٤م، ص ١١٧، ١١٨.

(2) Sauvaget (J), Caravanseriai Syreins Du Mogen-Age, Ars-Islamica, Vol, VI, Pt,I, 1939, P.P. 48-55.

(٣) أمال العمرى: المرجع السابق، ص ١١٩، ١٢٠.

(4) Sims (E), Markets & Caravanseriai, Architecture Of The Islamic World, T&H, 1984, P, 107.

(5) Sims (E); Ibid, P, 107.

من الحوانيت بلغ مائة وثلاثة عشر حانوتاً بالداخل والخارج، فضلاً عن الفرجات الست التي خصصت في الغالب للاستراحة، كما حوت كل طبقة منها مرافق وحقوق لخدمة نزلاتها، وذلك في عدة طوابق متتالية، وهذا النظام هو المعبر عنه بالربع السكنى، الذى قد يخصص لإقامة تجار القيسارية أو لسكنى أهلهم من أهل الأحياء موضوع البحث ممن عملوا بالحرف والصناعات أوالتجارة^(١).

وهذه القيسارية تختلف فى ذلك عن تلك القيسارية التى تعود للعصر المملوكى والتى تعرف بابن سويد بشارع أمير الجيوش والوارد وصفها ضمن وثيقة وقف نشرتها د/آمال العمرى، حيث تميزت بصغر مساحتها وقلة حوانيتها^(٢).

٢) وكالتا مصطفى جوريجى القبرصى

المنشئ

هو الجناب العالى الأمير^(٣) مصطفى جوريجى مستحفظان^(٤) مصر فى نهاية القرن السابع عشر الميلادى (١٠٩٤هـ/١٦٨٢م) اشتهر بين أهل عصره بالقبرصى ربما نسبه إلى البلد التى ينتمى إليها (وهى جزيرة قبرص)، وتزوج من السيدة المصونة خديجة خاتون وأنجب منها إبنة إبراهيم جلى مستحفظان والمصونة كريمة خاتون، ثم تزوج من السيدة المصونة بلقيس بنت عبدالله الجرجية الجنس، وكان له ولإبنة الذى عمل فى سلك العسكرين مستحفظانا عدد غير قليل من الخدم (العبيد) سود وبيض^(٥)، ولقد أنشأ هذا الأمير وولده إبراهيم جلى هاتين الوكالتين المتداخلتين التى عرفت إحدهما بالصغرى والأخرى بالكبرى، والسبيل الملحق بالوكالة الكبرى، كما شيد سقيفة أعلى هذه المنشآت تمتد من

(١) توفيق عبد الجواد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، دار الكتب، ١٩٧٠م، ج٣، ص٢٠٣.

(٢) آمال العمرى: المرجع السابق، ص١١٩، ١٢٠.

(٣) محاضر جلسات اللجنة، مجموعة ٢٦ لسنة ١٩٠٩م، ص٩٣، ٩٤.

(٤) هم الإنكشارية، وهو الإسم المحرف لكلمة بنى جرى التركية، أى الجيش الجديد، وقد تولوا حفظ الأمن فى مقر الحكم، وهم مشاة مسلحون بالبنادق، ويشير اسم الأمير مصطفى إلى أنه ولى قيادة هذه الفرقة حيث كانت لهم الكلمة العليا عليهم. انظر: عن ذلك: عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، دار المعارف ١٩٨٤م، ص٣٤، حاشية (٤).

(٥) مصطفى جوريجى. وثيقة ٢٥٣٢/أوقاف مؤرخة ١٢٨ جمادى الآخرة (١٠٩٦هـ/١٦٨٤م)، سطر ٦، ص٦، ٨، ٩، ١٦، ١٧ من الصفحة نفسها.

السبيل إلى نهاية واجهة الوكالة الكبرى، كذلك شيد ربعين أحدهما من ثمانية عشر بيتاً،
والآخر من سبعة عشر بيتاً وذلك بجوار كل وكالة والمشيدة كل منها بالفحامين.

الوصف المعماري والوثائق للوكالة الصغرى : (انظر المسقط الأفقى التصورى ش ٤٦)

هذه الوكالة ألحق بها السبيل والكتاب وكان يتم النوصل إليها من خلال مدخل خاص
بها وبالسبيل بالواجهة القبلىة.

وقد أشارت الوثيقة إلى مكونات هذه الوكالة فذكرت أنها كانت تشتمل على سبعة عشر
حانوتاً بالواجهة القبلىة التى بها المدخل، وثلاثة عشر حانوتاً بالواجهة الغربىة التى كان
يتوصل إليها من درب الاحتساب (الطريق المؤدى إلى منزل المحرقى إلى مدرسة بىبرس
الخطاط).

وبالداخل اشتملت على تسعة حواصل سفلىة، وإحدة عشرة طبقة علو الحواصل
المذكورة، كما اشتملت على بئر ماء معين وحنفىة برسم الموضوع^(١).

الوكالة الكبرى^(٢) : (انظر المسقط نفسه ش ٤٦)

لهذه الوكالة مدخل بالواجهة الشرقىة، كان مركب عليه نص التأسيس المتضمن للتارىخ
والمنشئ وقد أشارت الوثيقة إلى مكونات هذه الوكالة المعمارىة فذكرت انها كانت تشتمل
على تسعة وثلاثين حاصلاً معقودة بالمون ومفروشة الأرض بالبلاط كان يغلق على كل
حاصل منها درفة باب من الخشب النقى، ويعلو هذه الحواصل خمسة وخمسون طبقة مسقفة
نقىاً مفروشة أرضها بالبلاط مكملة بالمنافع والمرافق والحقوق والشبابىك والطاقات
والدرايزىن والخشب، بالإضافة إلى اشتمالها على حنفىة برسم الموضوع، ومصلاة برسم
الصلوات الخمس^(٣)، وهذه المصلاة لم تشر الوثيقة إلى موضعها من الوكالة، ولكن من
المرجح أنها كانت تتوسط صحن الوكالة لكى يسهل على أهل الوكالتىن أداء الصلاة، نظراً
لارتباط صحن كل وكالة بنظيره، وتخصىص حنفىة للوضوع فى كل وكالة، مما يسهل
الوضوع وأداء الصلاة.

وقد أوقف المنشئ بهذه المصلاة ربعة شرىفة عدتها ثلاثون جزءاً، خصص لها خزانة

(١) الوثيقة ٢٥٣٢/أوقاف، ص ٢، سطر ٥-١٢.

(٢) الوثيقة ٢٥٣٢/أوقاف، ص ٢، سطر ٤-٥.

(٣) الوثيقة نفسها: ص ٢، سطر ٢٢-٢٥.

تحفظ بها داخل المصلاة^(١)، بالإضافة إلى مجموعة من الكتب والقواميس وقفها لطلبة العلم بالأزهر الشريف.

التحليل المعماري

تمثل هاتان الوكالتان استمرار هذا النوع من المنشآت التجارية الذى وجد فى مصر خلال العصر المملوكى، وإن كانت قد اختلفت عنها فى ذلك العصر فى وجود الوكالات المدججة ببعضها، إحداهما صغرى والأخرى كبرى، يتوصل إلى كل منهما بواسطة مدخل مستقل، وتحوى كل واحدة عدد من الحواصل والغرف العلوية المخصصة لتخزين السلع وإقامة التجار وفقاً لمساحة كل واحدة، وهذا النوع من الوكالات تمثله وكالتا الأمير مصطفى القبرصلى المذكور، بالإضافة إلى اشمال الوكالة الكبرى على مصلاة لأداء الصلوات الخمس، وهذا العنصر المعماري لم تشتمل عليه أية وكالة مملوكية، وإن كان قد عرف فى آسيا الصغرى، ويبدو أن جنسية الواقف قد كانت وراء انتقال هذا العنصر المعماري إلى الوكالات العثمانية فى القاهرة، والتي يبدو أنها عرفت فى قبرص عن طريق تأثرها بالوكالات أو الخانات التركية، ثم نقلها الواقف عندما شيد وكالتيه بالفحامين^(٢).

ومما سبق يمكن أن نقف على النتائج التالية:

(١) ظهر على وكالة الشرايبي رتك الطبر الذى يشير إلى حراسة الوكالة والمنشئ من قبل موظف خاص بهذه المهمة.

(٢) ضمت الوكالة من داخلها ممر يتقدم الحواصل السفلية والحجرات العلوية، يحمل سقف الممر أعمدة خشبية يرتكز عليها مباشرة سقف الممر دون ان تنتهى بعقود كما فى الوكالات المملوكية.

(٣) واجهة الدور الثانى للوكالة لا تشرف على الصحن، وإنما على الممر الذى يتقدم حجراتها.

(٤) اشتملت وكالة مصطفى القبرصلى الكبرى على عنصر المصلاة، وهو عنصر ظهر فى ذلك العصر متأثراً بالخانات العثمانية.

(١) الوثيقة نفسها: سطر ٤، ص ٣.

(٢) حسن الباشا: المدخل، ص ١٥١، وأقطاى أصلاتبا: فنون الترك وعماثرهم، ترجمة أحمد عيسى، استانبول ١٩٨٧م، ص ١٢٢-١٢٤، تخطيط ٢٨.

٥) تعتبر وكالتا الأمير مصطفى القبرصلى من أولى النماذج للوكالات المدججة الملحق بإحداها سبيل وكتاب.

٦) اشتمل حى الجوزرية على أقدم تخطيط لقيسارية مملوكية أثبتتها وثيقة وقف الأمير بيبرس الجاشنكير، وأمكن بواسطتها عمل مسقط أفقى تصورى لها، وبذلك يصبح هذا التخطيط أول تخطيط لقيسارية يعود للعصر المملوكى وصل إلينا.

*** **

الفصل الثاني

العمارة الاجتماعية

obeikandi.com

تبقى داخل الأحياء موضوع البحث عدد من العماثر تتسم بصفتها الاجتماعية، وهذه العماثر بعضها درست بعض معاملة ووجدت في عصور تالية، وبعضها لازال باقياً بحالته التي شيد عليها، والبعض الآخر في حالة غير جيدة، ومعظم هذه العماثر تعود للعصرين المملوكي والعثماني، ومن هذه العماثر، حمام بيبرس - حمام الشرايبي - سبيل مصطفى جوريجي - سبيل على بك الدمياطي.

وبجانب هذه العماثر الباقية كان هناك عدد من العماثر ذات الصفة الاجتماعية درست معالما أشرت إليها عند الحديث عن التطور العمراني لهذه الأحياء، وعلى ذلك فإن هذا الفصل يتناول بالدراسة الآثار المعمارية ذات الصلة الاجتماعية التي لاتزال باقية، والتي ورد لها وصف داخل الوثائق المعاصرة، ومن هذه الآثار:

١) حمام بيبرس الخياط:

أنشأها الأمير بيبرس الخياط^(١) وذلك في سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م)^(٢) بالبندقين على يسرة السالك إلى سيدي حبيب (الملحين) أو (ش المنجلة الآن). (انظر الخريطة ش ٨)، بجوار داره وفي مواجهة قصر حريمه، على قطعة من الأرض آلت إليه بطريق الاستبدال في السنة المذكورة.

الوصف المعماري الوثائقي (انظر المسقط الأفقي التصوري ش ٤٧)

كانت هذه الحمام تشتمل على واجهة فتح بها ثلاثة أبواب خصص إثنان منهما للمستوفد والساقية، أما الثالث فقد كان يتوصل منه إلى دهليز مسقف بسقف خشبي يتخلله صرر زخرفية، وغشيت أرضيته بالبلاط، يصل المار داخل هذا الدهليز في نهايته إلى باب مقنطر يؤدي إلى مسلخ الحمام (قاعة الاستقبال).

(١) انظر ترجمة هذا الأمير في الفصل الثالث من الباب الثاني.

(٢) أشارت إحدى الباحثات إلى أن تاريخ هذه الحمام يعود إلى سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) استناداً على نص وثائقي ٤٧/٣١٣/دار الوثائق القومية، غير أن ذلك لا يتفق والحقيقة. إذ أن النص الوثائقي يفيد أن تاريخ هذه الحمام يعود إلى سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م) ومن ثم فإن نسبتها إلى العصر العثماني لا يقوم على سند قوى، فضلاً عن ذلك فإن هذه الحمام قد درست معالمها. انظر: سعد محمد حسين: الحمامات في مصر الإسلامية، مخطوط رسالة الدكتوراة، كلية الآثار ١٩٨٣م، ص ١٤٨، الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ١١٤-١٣٠ وجه.

المسلخ

كان يشتمل على إيوانين متقابلين مسقف كل منهما بسقف خشبي يتوسطه صرر زخرفية، اشتمل الإيوان الذي كان يقع على يمينه الداخل على مقلع لطيف، أما الإيوان الثانى فكان يتصدره حنية معقودة قبواً.

أما الدورقاعة فكان يتوسطها فسقية بها فوار يعلو ذلك درابزين، كذلك اشتملت الدورقاعة على سدلتين متقابلتين بإحدهما شبك، كما ضمت القاعة أربعة أبواب أحدهما باب الدخول يقابله بيت أزيار، والباب الثانى يتوصل منه إلى السطح العالى ومدار الساقية والحاصل وبيت القدور، والباب الثالث يدخل منه إلى دهليز مبلط معقود قبواً بجامات ملونة، أما الباب الرابع فقد ضاع وصفه داخل الوثيقة.

من الباب الثالث المذكور كان المستحم يصل إلى دهليز اشتمل على بايين أحدهما على يمينه الداخل ويؤدى إلى باب، ثم إلى باب ثالث يتوصل منه إلى القصر (سكن الحریم). وإلى دار الأمير بيبرس (قبل أن يهدمها ويعيد بناءها). والباب الثانى كان بصدر الدهليز كان يؤدى إلى دهليز آخر على بسرة الداخل إلى كرسى راحة (خلاء) كما كان يضم الدهليز باباً مربعاً يؤدى إلى بيت أول.

بيت أول

هو ثانى كتلة معمارية فى مكونات الحمام وقد امتاز باشماله على حوضين أحدهما صغير، والآخر كبير يعلو ذلك جامات زجاج ملون. وفى هذا الجزء يتزع المستحم ملابسه استعداداً لأخذ الحمام، وتمتاز هذه الغرفة بالدفء، وسميت كذلك لأنها أول الغرف الدافئة⁽¹⁾.

ومن هذه الغرفة كان يتوصل عن طريق باب آخر إلى بيت الحرارة.

بيت الحرارة

كان يتوصل إليه من خلال باب فتح فى أحد جوانب "بيت أول" وكان يمتاز بأرضيته المفروشة بالرخام الملون يحيط به دخلات معقودة بجامات زجاج ملون. وكان يقع على يمينه الداخل إليه حوض كبير يعلوه جامات زجاج ملون كما كان يضم خلوة برسم الدواء بها

(1) Lane (E), Amuscaunt Of The Manners & Customs, London, 1886, Vol.II, p. 38.

حوض صغير^(١).

يجاور بيت الحرارة بيت الطهر^(٢)، وكان معقوداً بالجمامات الملونة يجاوره حوض كبير يعلوه جامات ملونة، يجاوره خلوتان يعلوهما جامات ملونة، يجاورهما حوض كبير تجاه الداخل لباب غرفة الحرارة يعلوه أيضاً جامات ملونة يجاوره جرن حجر يجاوره حوض كبير يقع على يسرة الداخل بيت الحرارة، ثم يلي ذلك خلوة بصدورها مغطس يصعد إليه من ثلاثة درج كامل جميع ذلك بالجمامات الملونة.

وقد خصص الواقف لهذه الحمام ساقية تمدها بالمياه كاملة العدة والآلة والبناء كان يتوصل إليها من أحد البابين التي كانت تضمها الواجهة، أما المستوقد فقد كان يدخل إليه من باب يجاور باب الساقية حيث كان يشتمل على مجموعة من القدرور الرصاص خصصت لتسخين المياه، وقد كان من حقوق المستوقد شونة وحاصل لتخزين ما يتعلق بهذه الحمام من أدوات^(٣).

التحليل المعماري

اشتملت هذه الحمام - وفقاً لما تذكره الوثيقة- على بعض العناصر المعمارية التي شاعت في عمائر عصر المماليك الجراكسة، ومنها العقود التي استخدمت في تغطية جميع وحدات الحمام يتخللها الجمامات الزجاجية الملونة، وهذه العقود قد لا تختلف عن العقود المستخدمة في مدرسة الواقف والمشار إليها في الفصل الثالث من الباب الثاني.

أما التخطيط الذي كان عليه مسلخ الحمام فقد اتبع فيه نفس التخطيط الذي سارت عليه المدارس في تلك الفترة، من حيث اشتماله على إيوانين مسقفين بسقوف خشبية، وسدلتين غطيتا بنفس الأسلوب، وهذا الأسلوب هو نفسه أسلوب التغطية في مدارس تلك

(١) ربما خصصت هذه الخلوة لإجراء بعض العمليات الجراحية كالحجامة، أو الختان أو علاج بعض الحالات الأخرى. انظر: الوثيقة ٤٧/٣١٣ سطر ١٢٤ وجه. وبيت الحرارة عبارة عن صحن تعلوه قبة أو غير ذلك، وفي وسطه كتلة مرتفعة من الرخام لجلوس المستحم وتدليكه من قبل المكبساتي، ويحيط بهذا البيت ثلاث أو أربع إيوانات على هيئة متعامدة. والحرارة في هذا المكان مرتفعة.

انظر: ممدوح حمدي: معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامي، القاهرة ١٩٥٩م، ص ٣٨.

(٢) يعبر عنه أيضاً بالمغطس وهو يلي بيت الحرارة، وهو مخصص للاغتسال، ويمكن الوصول إليه من إيوانات أو من صحن بيت الحرارة مباشرة، انظر: ممدوح حمدي: المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٣) الوثيقة السابقة ٤٧/٣١٣، سطر ١٣٠ وجه.

الفترة، أما الدور قاعة: فقد كان يتوسطها فسقية يتوسطها فوارة لتلطيف درجة حرارة الجو للمستحم الجالس بالمسلخ للاستحمام ولتناول وجبة خفيفة من الطعام أو احتساء القهوة والشاي أو تدخين النرجيلة^(١) قبل الحمام أو بعده.

المستوفد

من العناصر المعمارية الهامة فى عمارة الحمام، وهو المكان الذى يوقد أسفله لتسخين القدور الرصاص^(٢) المملوءة بالمياه التى تزود الحمام بالمياه الساخنة، وقد استغل هذا المكان فى تسوية قدور الفول المدمس^(٣)، وقد زود الموقد بمجواصل وشون لحزن الوقود اللازم للمستوفد، وكذلك الأدوات التى تستخدم داخل الحمام، كما زود المستوفد أيضاً بساقية تمد القدور بجاراتها من المياه عادة ما تخرج المياه من البئر لتخزن داخل حاضل مياه يتصل به أنابيب فخارية تجرى على سطح الحمام حتى تتصل بالقدور الرصاصية لتزويدها بالمياه فى حالة نقصانها نتيجة الاستعمال.

٢ حمام الشرايبي (انظر: الخريطة ش ٩)

تقع هذه الحمام بسكة الشرايبي بجوار وكالة الشرايبي، وهى حمام كبيرة كانت مخصصة للرجال والنساء.

المنشئ

يشير Pauty إلى أن هذه الحمام من إنشاء السلطان الغورى فى سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م)، وهو فى قوله هذا يعتمد على ما ذكره على باشا مبارك بشأن هذه الحمام^(٤). غير أنه بالرجوع إلى وثائق أوقاف الغورى لم أجد داخلها ما يشير إلى انشاؤه حمام فى هذا الموقع^(٥). فضلاً عن ذلك فإن هذه الحمام قد حوت من العناصر المعمارية ما يفيد إرجاعها إلى العصر العثمانى، سواء عن طريق التجديد أو التشييد، ولهذا فإن هذه الحمام تعود إلى العصر العثمانى، يتأكد ذلك من خلال المعلومات الواردة فى خطط على مبارك والذى يشير

(١) ممنوح حمدى: المرجع السابق ص ٣٣.

(٢) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ١٦٥.

(٣) مصطفى نجيب: العمارة العثمانية، مقال بكتاب القاهرة، ص ٢٧١.

(٤) على مبارك: الخطط، ج ٣، ص ١٦٤، وانظر:

Pauty (Edmond), Les Hammams Du Caire Le Caire, 1933, P. 54.

(٥) وثيقة وقف ٨٨٢/٨٨٣/وزارة الأوقاف.

إلى قيام التاجر محمد الدادة الشرايبي^(١) قبل سنة (١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م)^(٢) بتجديدها أثناء إنشائه لوكالته التي تجاورها، وذلك بإحداث تغييرات كثيرة وفقاً لروح العصر العثماني^(٣). وهذه المعلومة التي ساقها على مبارك يفهم منها أن هذه الحمام قد كانت موجودة قبل عصر الشرايبي، وربما تكون من إنشاء الغوري نفسه في فترة لاحقة للتاريخ الذي سجل فيه منشأته ضمن وثائقه أو تكون لأمر من أمراءه، وظلت هكذا إلى تم إعادة تجديدها تجديداً شاملاً من قبل الحاج الشرايبي التاجر العظيم في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، ومن ثم فإن الحمام بوضعها الحالي تعود إلى العصر العثماني.

وقد عرفت هذه الحمام بعد ذلك بحمام النملى نسبة إلى الشيخ النملى الذي كان يسكن بجوارها؛ حيث أشارت إلى ذلك وثيقة وقف تعود للعصر العثماني^(٤)، ولازال لهذا الشيخ مسجد يعرف بالنملى يجاور الحمام إلى الآن، وقد كانت هذه الحمام من الحمامات العامرة حيث شاهدها على مبارك عامرة بالرجال والنساء ولها بابان أحدهما كان يجاور خان الحمزاوى الكبير، والآخر من سكة الشرايبي بجوار الوكالة، وقد تعطلت هذه الحمام فترة من الزمن حتى استطاعت هيئة الآثار المصرية إعادة الحمام إلى سابق عهدها. وتم تسجيلها ضمن الآثار الإسلامية الواجب الحفاظ عليها. وقد استطعت الدخول إليها ووصفها وصفاً معمارياً دقيقاً، وعمل مسقط أفقى لها (ش ٤٩) كما سيأتى ذكره في الوصف.

الوصف المعماري

الواجهة الرئيسية (ش ٤٨) (لوحة ٥١)

لهذه الحمام واجهة رئيسية بالجهة الجنوبية الغربية يبلغ عرضها (١٨م)، وارتفاعها (٦٠, ٩م) فتح بها ثلاثة مداخل الأول يؤدي إلى الحمام، والثاني يؤدي إلى السطح العالى والساقية وحاصل المياه والقذور. والثالث يؤدي إلى المستودع والحاصل والشونة.

المدخل الأول

يبلغ اتساعه (٩٠سم)، وارتفاعه (١٠, ٢م)، معقود بعقد مدبب يوطره جفت لآعب

(١) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص١١٦، ١١٧.

(٢) جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمة أيمن فؤاد سيد، الخانجي ١٩٨٨م، ص٢٢١، حاشية (٦).

(٣) على مبارك: الخطط، ج٣، ص١٦٤.

(٤) وثيقة وقف ٩٠٢/الأوقاف باسم محمد المحروقي، سطر ١٧، مؤرخة بسنة (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م).

يعلوه مساحة مستطيلة يعلوها شباك صغير (٨٠سم × ٦٠سم) يعلوه عقد موتور محدد من أعلى بجفت لاعب، ويبلغ ارتفاع هذا العقد من قمة العقد المدبب إلى نهايته (٣٠، ٢م)، ومن ثم فإن كتلة المدخل مجتمعة يبلغ ارتفاعها (٤٠، ٤م).

المدخل الثانى

يجاور المدخل الأول وهو من المداخل المربعة، يبلغ ارتفاعه (٢٠، ٢م)، وعرضه (٨٠سم) ينتهى بعقد مستقيم من صنجات معشقة، يؤدي هذا المدخل إلى سلم يصعد منه إلى السطح العالى للحمام.

المدخل الثالث : (لوحة ٥١)

يبعد هذا المدخل عن المدخل الثانى مسافة (٦٠، ٦م)، وهو من المداخل المقنطرة يبلغ اتساعه (٨٠، ١م)، وارتفاعه (١٠، ٢م)، وهذا المدخل يؤدي إلى دركاة مستطيلة (٦٠، ٢٠ × ٢، ١م) يقع على يسرة الداخل إليها حاصل مستطيل (٢م × ١، ٥٠م) وبصدرها باب كان يؤدي إلى شونة مربعة تقريباً (١، ٥٠ × ١، ٣٠م) منها يصل الداخل إلى المستوقد، أما الداخل إلى الدركاة فكان يقع على يمينه باب يؤدي إلى ممر يصل منه أيضاً إلى المستوقد طوله (٥٠، ٥م) وعرضه (١م).

داخل الحمام : (لوحة ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠)

يصل المرء إلى داخل الحمام بعد اجتيازه المدخل الأول المذكور، ويمر داخل ممر أو دهليز طوله (٨، ٧٠م) وعرضه (٦٠سم) يرتد جهة الغرب مسافة (٢٠، ٥٠م) حيث يصل إلى مسلخ الحمام (قاعة الاستقبال)، حيث يوجد فى هذا الارتداد دخلة جدارية عمقها (٦٠سم) وعرضها (٥٠سم) ربما خصصت لحفظ أدوات الحمام الخاصة بالقهوة وغيرها التى يطلبها المستحم أثناء جلسته بالمسلخ.

أما المسلخ فهو ذو مساحة مربعة طرل ضلعها (٦٠، ٥م)، محاطة بأربعة أروقة كل رواق يطل على الدور قاعة ببائكة من عقدين يتوسط أرضية الدور قاعة فسقية ذات فوارة. وقد غشيت أرضية الدور قاعة والفسقية بالرخام الملون. أما العقود والأعمدة فهى من الحجر الذى استعمل مشهراً فى بواطن العقود المدببة لكل بائكة لتكوين أشكال هندسية (دالية أو زجاجية) فتح بالحائط الشمالى الشرقى بابن أحدهما مباشر من الباب الثانى للحمام إلى

الرواق الشمالى الغربى، والأخر يفتح فى الرواق الشمالى الشرقى ولكن بمستوى أقل انخفاضاً من مستوى الأروقة.

كذلك ضم الرواق الشمالى الشرقى سلم يصعد من عليه إلى سطح الحمام حيث مدار الساقية والقذور وحاصل المياه.

وبالجدار الجنوبى الشرقى باب معقود بعقد مدبب اتساعه (٣٠سم) يؤدى إلى دهليز مستطيل طوله (٦٠, ١م) وعرضه (٦٠سم)، يؤدى إلى دهليز آخر معقود قبواً يتصدره جهة الشمال الشرقى بيتان خلاء (٦٠ × ٦٠سم) لكل منهما على يمينه الداخلى إلى هذا الدهليز باب يؤدى إلى دهليز آخر طوله (٣, ٥٠م) وعرضه (٥٠سم) يؤدى إلى بيت أول.

وهذا البيت مستطيل التخطيط (٢, ٣٠ × ١, ٧٠م)، مغطى بقبو يتوسطه قبة يتخللها جامات زجاجية ملونة، يتصدر الجهة الجنوبى الغربية منه دخلة اتساعها (٩٠سم) وعمقها (٤٠سم)، ربما خصصت كمقلع لطيف.

يؤدى ها المكان إلى بيت الحرارة وهو عبارة عن دور قاعة بتوسطها فسقية ويحيط بها أربعة أووين، ومغطين وخلوة واحدة معقودة جميعها بعقود مدببة يتوسطها قباب ضحلة فتح بها جامات زجاجية للإضاءة.

عناصر الحمام المعمارية

اجتمعت داخل هذه الحمام وخارجها عناصر معمارية ميزتها عن الحمام المملوكى السابق وصفها، ومن هذه العناصر: العقد المدبب الخموس المنخفض^(١).

المستعمل فى المدخل الرئيسى للحمام والمدخل إلى الدهليز المؤدى إلى وحدات الحمام. وكذا العقود التى تحملها الأروقة، (انظر ش ٤٩) ولوحات (٥٣، ٥٤)، وهذا النوع من العقود تميزت به عمارة العصر العثمانى المدنية فنراه فى منزل الكريتلية، والمراوى، والشبشبرى^(٢)، وغيرها من دور ذلك العصر ووكالاته كما فى وكالة الشرايى بالجوزيرية، والأسبله مثل سبيل على بك الدمايطى، كذلك اختلف المسلخ فى ذلك العصر عن المسلخ

(١) محمود خليل نايل، محمد أمين عبد القادر: تاريخ فن العمارة، جـ ١، ص ١٠٦، ١٠٧.

(2) Revault (J), Et Maury (B), Palais Et Maisons Du Caire du VIX au XVIII Siecle

(I.F.A.O)1977, Tome, III, P133. Tome 4, PL,5٠ 24.

فى الحمام المملوكى؛ إذ استبدلت الإيوانات بالأروقة المحيطة^(١) بالدور قاعة، فضلاً عن استعمال القباب الضحلة التى تتوسط أقبية طولية لتسقيف وحدات الحمام المختلفة.

تشغيل الحمام

يعتمد تشغيل الحمام على الساقية والمستوقد وقدر المياه، ويبدأ التشغيل بملئ القدر الرصاصية بالمياه التى تصل إليها من خلال ساقية ترفع المياه من البئر لتصبه فى حاصل مياه غالباً ما يكون مساوى لسمت السطح تتصل بهذا الحاصل أنابيب فخارية أو رصاصية تسير على سطح الحمام حتى تصل إلى القدر الرصاصية لإمدادها بالمياه الباردة، وفى نفس الوقت تخرج أنابيب فخارية أخرى منها لتحمل المياه الساخنة والدافئة إلى قاعات الحمام (بيت أول) وبيت الحرارة والمغاطس وفسقية بيت الحرارة، وفسقية المسلخ.

وتوقد أسفل هذه القدر النيران، التى كانت مادتها من الخشب وغيره التى تستمر فترة من الزمن محتفظة بجاتها فىؤدى ذلك إلى غليان المياه التى تسير فى المواسير الفخارية أو الرصاصية المتصلة بالقاعات فىؤدى الاستعمال إلى نقصان المياه فتزودها المواسير القادمة من الساقية مما يؤدى إلى وجود مياه دافئة وأخرى باردة وثالثة ساخنة جداً واللازمة للمستحم فى غرف الحمام المختلفة^(٢). وهذا الأسلوب فى تشغيل الحمامات فى ذلك العصر هو نفسه الأسلوب الذى اتبع فى العصور السابقة، ولكنى ذكرته فى هذا الفصل لبقاء الأثر الذى أتحدث عنه حتى وقتنا الحاضر، وما سبق يتضح أن هذه الحمامات قد أنشئت لتخدم ناحية اجتماعية هامة هى نظافة الأبدان فى الحياة اليومية العادية أو فى المناسبات العائلية المختلفة نظير أجر رمزى يفى وأجور القائمين على خدمة روادها وبقاء منفعتها.

٣ الأسبلة

من نماذج العمائر ذات الطابع الاجتماعى أيضاً داخل هذه الأحياء، الأسبلة وقد وصلنا منها عدة منشآت اندثر بعضها وتبقى البعض الآخر، ومن الأمثلة الباقية:

(١) سبيل مصطفى جوريجى القبرصلى.

(٢) سبيل على بك الديمياطى.

(١) مصطفى نجيب: العمارة العثمانية، كتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، أثارها، ص ٢٦٨، وليم لين: المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم، ترجمة / على طاهر نور، القاهرة ١٩٧٥م، ص ٢٩٦، ش ٧٠.

(٢) معلومات مستقاة من فحص حمام الشرايى.

١) سبيل مصطفى جوريجى القبرصى

الموقع (انظر الخريطة ش ٩)

يقع هذا السبيل فى الزاوية الشرقية للوكالة الكبرى عند تقاطع شارع الفحاميين مع عطفة الزيت، ومن ثم فإن هذا السبيل يتنمى إلى طرز الأسبلة ذات الشباكين (انظر لوحة ٦١)، أحدهما يطل على شارع الفحاميين والآخر على عطفة الزيت.

الوصف المعمارى (انظر لوحات ٦١، ٦٢)، (ش ٤٦)

أشارت وثيقة الوقف إلى هذا السبيل على أنه بالواجهة القبلىة للوكالة الكبرى، وأسمته صهرىجاً يعلوه كتاباً برسم قراءة الأيتام^(١).

وهذه التسمية التى أطلقت على السبيل فى ذلك العصر لم تكن تعن المساحة المخصصة لحزن المياه فى تخوم الأرض، وإنما أطلقت على هذه المساحة مع التكوين المعمارى الذى يعلوها والمعروف بالسبيل أو المزملة^(٢).

وقد فتح فى هذا السبيل شباكان غشى كل منهما مصبعت حديدية سدت ثلاثة مربعات منها بتشكيل كتابى زخرفى للفظة الجلالة (الله) على مهاد من الفروع النباتية، وذلك ضمن مصبعت الشباك الشرقى كما غضيت أرضيته بالرخام يتخللها أجزاء خردة ملونة، وسقف بسقف خشبى مصنوع صناعة عربية^(٣) وشيد فوق هذه المساحة كتاب للأيتام، ووضع على السبيل والوكالة نص تسجيلى يفيد إنشاءه وولده لهم بما نصه:

"أنشأ هذا المكان المبارك الأمير مصطفى جوريجى مستحفظان القبرصى وولده إبراهيم جلى فى سنة (١٠٩٤هـ)"^(٤)، وكان الدخول إلى السبيل يتم من مدخل يجاور شباك التسبيل الجنوبى الغربى حيث يؤدى إلى دهليز على يسار الداخل يؤدى إلى الكتاب وعلى اليمين حجرة تتقدم حجرة السبيل بها الصهرىج وحاصل مياه بها باب فى الضلع الجنوبى الشرقى يؤدى إلى السبيل^(٥).

(١) الوثيقة السابقة، سطر ٢٦، ٢٧، ص ٢.

(٢) محمود الحسينى: الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة (١٥١٧هـ/١٧٩٨م)، نشر مكتبة مدبولى ١٩٨٨م، ص ٤٢

(٣) ملف الأثر ٥٥٣/٤٤، خطاب مؤرخ فى ١٢/٦/١٩٣٠ لقسم الأعيان والاستبدال.

(4) Raymond (A), Les Fontains Publiques (Sabil) De Caire De L'Epoque Ottomane (Annales Islamologiques) (I.F.A.O) Tome, XV, 1979, P, 257-258.

(٥) محمود الحسينى: المرجع السابق، ص ١٨٧.

الإصلاحات

أجريت بعض الإصلاحات داخل هذا السبيل، ومن ذلك سقوط شبك السبيل وإعادة وضعه بمعرفة الأسطى سعد محمود حسن ملاحظ المجرى بالإدارة، وذلك فى سنة (١٩٤٧م)^(١).

وقد فقد الكتاب والسقف العربى للسبيل واستبدل بسقف خشبى حديث كما فقدت اللوحة التأسيسية، وأصبح السبيل حانوتاً لتاجر أحذية فى وقتنا الحاضر، ولم يتبق سوى السقيفة فقط التى كانت تحجب خلفها واجهة الكتاب.

٢) سبيل على بك الدمياطى (أثر ١٩٧)

المنشئ

هو على بك الدمياطى ينسب إلى بلدة دمياط، كما يشير إلى ذلك إسمه، ولى وظيفة عسكرية أرجح أنها الصنجدية^(٢) والتى عمل بها ابنه من بعده والمسمى عمر بك^(٣)، وقد ظل بها حتى انتقلت إلى ابنه سنة (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م)، وظل بعد ذلك ثلاث سنوات، ثم قتل سنة (١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م)^(٤)، ولم يتبق من مآثر هذا الرجل سوى السبيل الذى شيده بالسكة النبوية (حى المحمودية) سنة (١١٢٢هـ/ ١٧١٠-١٧١١م)^(٥)، حسبما ورد باللوحة التأسيسية أعلى الشباك الغربى للسبيل والتى تحتوى على أربعة أسطر تقرأ كالاتى (لوحة ٦٧):

لبانيه حاوى الكمال المهذب
على لدمياط فى الأصل ينسب
هنيئاً مريئاً من الشهد أعذب
عليا سقيت الرحيق المطيب

سبيل به الأجر فى الدهر يكتب
على المقام كذا اسمه
فيا وارد به اشربوا ماؤه
لمنشئه فادعوا فتاريخه

(١) ملف الأثر ٦٢٨/٥٥٣ فى ٢٣/٤/١٩٤٧م.

(٢) الصنجد: تعبير يدل على رتبة تمنح لشخص، ويسمى فى هذه الحالة بك ويمنح مرتباً سنوياً (ساليانه)، وللمزيد: انظر عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، ص ١٧ حاشية (١).

(٣) الجبرتى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٤٢.

(٤) الجبرتى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٤٢.

(5) Raymond (A), Op.cit, P, 262.

سنة ١١٢٢ هـ بحساب الجمل.

الموقع

يقع هذا الأثر بحى الجوزرية على يسرة المار به طالباً السكة النبوية بدرج سعادة^(١) وهو يتبع طراز السبيل ذى الشباكين للتسبيل بالجهة الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية. (انظر لوحات ٦٣، ٦٤، ٦٥).

الوصف المعماري

أولاً: الواجهات

أ) الواجهة الرئيسية : (انظر ش ٥٠) (ولوحة ٦٦، ٦٧)

يبلغ عرض هذه الواجهة (١٠,٨٠م)، وارتفاعها (٩,٥٠م) تبدأ الواجهة من الجهة الجنوبية، وتمتد مسافة (٢,٩٠م) حتى كتلة المدخل، وفي هذا الجزء وعلى ارتفاع (٣,٦٠م، ٥٠,٥٠م) توجد نافذتان الأولى مسدسة من الخارج دائرية من الداخل، والثانية مستطيلة أبعادها (٧٠×٩٠سم) عليها مصبغات من أرماع متقاطعة.

يلى هذا الجزء كتلة المدخل وهي كتلة ترتفع مسافة (٦,٤٠م) وعرضها (٢,٦٠م) يتوسط هذه الكتلة باب الدخول، وهو مستطيل التخطيط أبعاده (١,٩٠م)، وعرضه (١م) يعلوه عتب مستقيم يعلوه عقد عاتق يعلوه نافذة تنتهى بصدر مقرنص أبعادها (٨٠×٨٠سم)، وارتفاع المقرنصات فوقها (٥٠سم) فى ثلاثة صفوف يلى ذلك صدر مقرنص يتوج المدخل يتكون من أربعة صفوف من المقرنصات ذات الحنايا المنكسرة، يبلغ ارتفاعها (١,٥٠م) وعرضها (١,٨٠م). يؤطر المدخل جفت لآعب ينعقد فى ميمات سداسية يعلو المدخل نافذة مستطيلة بجفت حجرى يجاور المدخل شباك التسبيل الأول. وهذا الشباك يرتفع عن سطح الأرض بمقدار (٤٠سم)، وهو مستطيل التخطيط أبعاده (٢,٥٠×١,٨٠م) يعلوه عقد مستقيم وعقد عاتق وزخرفة جفتية حول العقدین، وأعلى العقد العاتق تتكون مساحات مربعة ومستطيلة كما تحدد شباك التسبيل بحور مستطيلة، وقد غشيت شبابيك السبيل بمصبغات حديدية عددها ثمانية رماح وإحدى عشرة حخرزة^(٢).

(1) Pauty (E), Etude Sur De Monuments L`Egypt De Le Periode Ottomne (Dans Comite De Conservation Des Monuments De L`Art, Arabe) ("Comit" XXXVII) 1933-1935. P.322.

(٢) ملف الأثر ١٩٧/١٨٦، كشف جرد السبيل والكتاب مؤرخ فى ٣١/١٠/١٩٤٨.

يعلو شباك التسييل فى المستوى الثانى واجهة الكتاب الأولى وهى واجهة مفتوحة بعقدتين يرتكزان على عمود واحد^(١)، والجزء الأسفل منها يغشيه سياج من الخشب الخرط، والعقود من النوع المدبب المنخفض الخموس، والعمود يتبع طراز الأعمدة الكورنثية، وهذه الواجهة يبلغ ارتفاعها (٤,٨٠م) وعرضها (٣,٥٠م) وارتفاع العمود (٢,٥٠م) وارتفاع تاجه (٣٠سم). تنتهى هذه الواجهة فى زاوية البناء الشمالية بعمود مدمج يبين أن الواجهة تنتهى إلى طريق آخر. وهو من طراز الأعمدة الكورنثية يبلغ ارتفاعه (٢,٣٥م).

ب) الواجهة الجنوبية الغربية (البحرية): (انظر ش ٥٠) (ولوحات ٦٣، ٦٤)
يتوسط هذه الواجهة تقريباً شباك التسييل الثانى وهو شباك مربع تقريباً أبعاده (٢٠, ٢×٢م) يعلوه عقد مستقيم زخرف أعلاه ببلاطات خزفية، وحدد العقد بزخرفة جفتية تكون مربعات ومستطيلات على جانبي العقد وفوقه، وعلى جانبي شباك التسييل يعلو الشباك فى المستوى الثانى النافذة الثانية لحجرة الكتاب الأولى، وهى تشبه النافذة الأولى من حيث الارتفاع والعرض. ونوعية العقود والأعمدة والسياج الخشبى المخروط على الجزء الأسفل من النافذة.

أما شباك التسييل فيغشيه مصبغات نحاسية مكونة من ثمانية رماح وإحدى عشرة مخرزة^(٢). يجاور شباك التسييل، وفى الجزء العلوى من نهاية الواجهة نافذة مستديرة يطلق عليها عين الثور محدة بجفت لاعب ينعقد فى أربع ميمات (ش ٥١)، وهذه النافذة كانت تضىء الحجرة التى اختص بها عامل السبيل، والتى كان يعلوها غرفة ماثلة خصصت كغرفة ثانية للكتاب تطل على الطريق بنافدتين مستطيلتين ارتفاع كل منها (٢,٣٠م)، وعرض كل منها (١,١٠م) تجاوران نافذة الحجرة الأولى المعقودة بعقدتين مدبين.

الوصف من الداخل

أ) الدور الأرضى (ش ٥٢)

يؤدى المدخل السابق وصفه إلى دهليز طولى يجد الداخل إليه على اليمين سلم يؤدى إلى الكتاب، وعلى اليسار باب الدخول إلى السبيل وإلى حجرة العامل (أو المخصصة لحفظ

(١) مصنوع من الرخام وهو ذو بدن مثنى، ويختلف عن العمود الذى بالواجهة البحرية فهو اسطوانى.

(٢) ملف الأثر ١٨٦/١٩٧، وكشف جرد السبيل، والكتاب مؤرخ فى ٣١/١٠/١٩٤٨م.

أدوات السبيل) هذا الدهليز طوله (٨٠, ٧م) وأكبر عرض له (٨٠, ١م) سقف بسقف خشبي.

حجرة السبيل

مربعة التخطيط أبعادها (٧٠, ٤ × ٧٠, ٤م) على يمينه الداخل إليها توجد ثلاث دخلات حائطية ربما خصصت لحفظ الكيزان المخصصة للشرب، وعلى يسرة الداخل توجد دخلة كبيرة عرضها (٨٠, ١م)، وعمقها (٣٠سم) ربما خصصت للسبيل، فهي تواجه شبك التسبيل، الثاني وتجاور الشباك الأول.

حجرة عامل السبيل (أو أدوات السبيل)

تجاور حجرة السبيل وهي مستطيلة التخطيط يكون عرضها متسعاً جهة مدخلها يستدق كلما اتجهنا للداخل، ويتوسط أرضيتها تقريباً عمود يحمل سقف هذه الحجرة وأبعاد هذه الحجرة (٦٠, ٤ × ٦٠, ٤م) بالداخل.

ب) الدور الأول

يؤدي السلم الذي يوجد على يمينه الداخل من مدخل السبيل إلى الكتاب، وهذا الكتاب يشغل مساحة السبيل والدهليز والحجرة المجاورة للسبيل؛ حيث ضم هذا الدور حجرة المؤدب والتي أقيمت فوق جزء من الدهليز وغرفتين للكتاب تجاور إحداهما الأخرى، وتطل واحدة منهما بنافتين مستطيلتين على حى المحمودية، والأخرى تطل بنافذة واحدة معقودة بعقدين على هذا الحى وبنافذة أخرى مائلة على الطريق المؤدى إلى السكة النبوية. مما سبق يتبين أن عمارة السبيل تتكون من ثلاثة طوابق: الأول: ويكون بباطن الأرض وهو الصهريج المخصص لحزن المياه، والثاني: وهو السبيل وبه شبابيك التسبيل والسلسيل، والثالث: يعلوه وهو الكتاب^(١).

عناصر السبيل المعمارية والزخرفية

اجتمعت داخل هذا السبيل بعض العناصر المعمارية المميزة مثل العقود المدببة الخموسة المنخفضة، والمدخل ذو الصدر المقرنص، والعقود المستقيمة والعاتقة وبعض هذه العناصر تتبعت مراحل تطورها في الفصول السابقة، والبعض الآخر منها ظهر في هذا

(١) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ١٦٣.

العصر بشكل مختلف عن العصور السابقة مثل العقد المدبب المنخفض، وظهر البعض الآخر منها في هذا العصر متأثراً بالجليات مثل المدخل ذو الصدر المقرنص^(١). كذلك مثل على واجهة السبيل الجنوبية الشرقية بعض الوحدات الزخرفية المنحوتة في الحجر، والتي تمثل أشكال مروحية وأشكال نجمية من عشرة أضلاع يتوسطها صرة مروحية، والبعض منها يتكون من ثمانية عشر ضلعاً غشى جزء كبير منها بزخرفة تشبه السلال المفرغة يتوسطها شكل مروحي، وهذه الأشكال وجدت على بعض عمائر القرن الثامن عشر وذلك بالحفر البارز والغاثر وتفرغ بعض هذه الزخارف، كما استمر استعمالها على عمائر القرن التاسع عشر الميلادي.

فقد ظهرت هذه الصرر الزخرفية على سبيل خليل أفندي المقاطعجي بالكعكيين (١٠٤٢هـ/١٦٣٢م)، وسبيل عبد الباقي خير الدين بجارة المنجلة (١٠٨٨هـ/١٦٧٧م)، وسبيل عارفين بك بالباطنية الذي شيد بعد تشييد على بك لسبيله بنحو ثلاث سنوات (١١٢٥هـ/١٧١٣م)، ثم ظهرت على سبيل إبراهيم بك المناستري (١١٢٦هـ/١٧١٤م)، ثم ظهرت هذه الصرر الزخرفية على واجهة وكالة الشرايبي بالجوزرية التي يعود تاريخ إنشائه إلى ما قبل عام (١١٣٧هـ/١٧٢٤م)، وواجهة منزل محمد المحروقي قبل سنة (١٢٤١هـ/١٨٢٥م)، ويرتبط بهذه العناصر المعمارية والزخرفية سقف السبيل والكتاب. ونظراً لصعوبة الدخول إلى السبيل نتيجة غرق أرضيته في المياه الجوفية فلم أتمكن من مشاهدة هذا العنصر، غير أن ملف هذا الأثر قد أشار إلى أن سقف السبيل مكون من براطيم خشبية تحصر بينها مربوعات كاملة النقش والتذهيب والإزار الذي تركز عليه أيضاً.

أما سقف حجرة الكتاب فكان من عروق ولوح، وفي العروق أثر نقوش بالزيت، أما الإزار فهو كامل ومنقوش^(٢)، وذلك منذ ٢٦/٢/١٩٤٨م، ونظراً لاستخدام السبيل كمدرسة لتعليم العميان، فإن احتمال تعرض الأثر وسقوفه وعمارته لبعض الخلل أمر وارد

(١) ميز بعض العمائر المملوكية البحرية مثل بشتاك، ومقبل الداوودي كما سبق وأسلفت، ويتشابه مع مدخل يوسف الكردي العثماني الخاص بالسبيل والكتاب بشارع اللبودية. انظر: محمود الحسيني: الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، ص ١٩٩.

(٢) ملف الأثر ١٨٦/١٩٧/كشف جرد السبيل والكتاب ٢٦/١٢/١٩٤٨م.

بالإضافة إلى ذلك أشارت أوراق الملف الخاصة بالأثر إلى اشتغال حجرة السبيل على سلسبيل رخامى منقوش بالمعجون الأسود فى رخام أبيض، أى أن زخارفه منفذة بالتنزيل، ودواليب حائطية بدون ضلف مما يشير إلى أن الدخلات الجدارية السابق وصفها قد استعملت كدواليب حائطية لحزن بعض الأدوات التى تخص عامل السبيل، وقد كان يغلق على هذه الحجرة باب من الخشب شغل عربى بسيط، وباب آخر يغلق على الحجرة الشرقية التى تتجاوز الحجرة الخاصة بالتنسيل ولكنه غير عربى، حيث أطلق عليه كشف الجرد اسم باب أفرنجى^(٢).

أما استعمال البلاطات الخزفية فى زخرفة العمائر فهو أسلوب شاع استعماله منذ العصر العثمانى، وإن كانت له بدايات فى عمائر العصر المملوكى حيث ظهر يزخرف مئذنة خانقاة بيبرس الجاشنكير، ومئذنة الناصر محمد بالقلعة (٧٣٥هـ/٧٣٥م)، ثم مئذنة السلطان الغورى (٩١٠هـ/١٥١٠م)، والتى لا تزال قائمة، واستمر استعمال البلاطات الخزفية التى تتبع الأساليب الزخرفية والصناعية فى العصر المملوكى^(٣) سائداً على عمائر العصر العثمانى وذلك حتى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى، وفى النصف الثانى من القرن نفسه لا نجد فى عمائر القاهرة التى تعود لهذه الفترة أى استخدام للبلاطات الخزفية، واستمر ذلك حتى مطلع القرن السابع عشر الميلادى^(٤). حيث استعملت مرة أخرى فى عمائر القرن السابع عشر وما تلاه بأسلوب زخرفى جديد يمثل الزخارف العثمانية التى شاعت على معظم التحف الفنية التى تعود لهذا العصر، وهذه البلاطات المستعملة فى زخرفة عمائر القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر

(١) فقد تعرض الأثر قبل عام ١٩٦١م لبعض التصدعات بالواجهة الرئيسية والواجهة البحرية. ملف الأثر ١٩٧/١٦٨، ١٩٦١/٣/١٣.

(٢) الملف ١٩٧/١٨٦، ١٩٤٨/١٢/٢٦م.

(٣) تمثل الأسلوب الزخرفى المملوكى فى نوعين الأول: يتمثل فى البلاط ذات اللون الواحد الذى قد يكون أخضر أو أزرق أو تركواز، والنوع الثانى: ويتمثل فى البلاطات ذات الزخارف الكتابية والهندسية والزخارف العربية المورقة، والتى يغلب على ألوانها اللون الأخضر والأزرق والأسود. انظر: ربيع حامد خليفة: فنون القاهرة فى العهد العثمانى، ص ٢٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٩.

مجلوبة من تركيا - مدنية أزنك - أو كوتاهية أو استانبول، أما النصف الثاني من القرن الثامن عشر فتمثل بلاطاته أسلوب المدرسة المحلية التي تأثرت بالتيارات الفنية الوافدة إلى مصر في تلك الفترة من المغرب وشمال أفريقيا^(١).

وعلى ذلك فإن البلاطات المستعملة أعلى العقد المستقيم بالواجهة البحرية لسبيل على بك الدمياطى، والذي يعود إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى، قد مثل عليها الأساليب الزخرفية العثمانية من أوراق رحيمة مسننة وزهور قرنفل وغيرها باللون الأزرق على أرضية بيضاء، أما ما نفذ على بلاطات واجهة المسجد المعروف بابن العربى فيمثل المدرسة المحلية المتأثرة بالأساليب المغربية من حيث حجم البلاطة وكذلك العناصر الزخرفية. وبعد فإن دراسة هذا الفصل قد أسفرت عن النتائج التالية:

(١) إعادة تأريخ حمام بيبرس الخياط من سنة ٩٥٠هـ إلى سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م).

(٢) إعادة تصور للمسقط الأفقى الذى كانت عليه الحمام.

(٣) اختلاف المسلخ المملوكى عن المسلخ العثمانى الذى يمثله مسلخ حمام الشرايى.

(٤) أثبتت الدراسة أن الحمام المعروفة بالشرايى تعود للعصر العثمانى فى ضوء عناصر معمارية وتخطيطية تميزت بها عمارة ذلك العصر.

(٥) انفرد سبيل مصطفى جوريجى بمدخل خاص يودى إلى السبيل والكتاب رغم إلحاقه بوكالتين، ونتيجة لاحتلاله زاوية الطريق، فقد شيد وفقاً لنمط الأسبلة ذات الشباكين.

(٦) أدى السبيل والكتاب دورهما الاجتماعى خير قيام حيث أشارت إلى ذلك وثيقة الوقف من حيث إمداد المارة بالمياه، وتعليم أيتام المسلمين وكسوتهم وإطعامهم.

(٧) قمت بوصف سبيل وكتاب الدمياطى وصفاً معمارياً دقيقاً، وكذلك تحليل عناصره المعمارية والزخرفية، والترجمة لصاحبه.

*** **

(١) المرجع نفسه، ص ٣٠.

الفصل الثالث

العمارة السكنية

obeikandi.com

يتناول هذا الفصل أنماط البيوت التي شيّدت داخل الأحياء خلال العصرين المملوكي والعثماني، والتي أثبتتها الوثائق المعاصرة، ومن البيوت التي أمكننى التوصل إليها من خلال الوثائق والمصادر والتي اندثرت معالمها باستثناء واجهة منزل المحروقي، بيت السلطان برقوق، بيت القاضي يحيى، قصر الأمير بيبرس الخياط، قصر الأمير على أغا، قصر محمد المحروقي.

١) بيت السلطان برقوق

المنشئ

هو الملك الظاهر برقوق بن أنس بن عبدالله الجركسى العثماني، كان اسمه الطنبغا، فلما أحضره الخواجة عثمان تاجر الرقيق باعه إلى الأمير يلغا الكبير فسماه برقوقاً لتتوء فى عينيه، وقد تسلطن برقوق فى سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، وتلقب بالملك الظاهر، واتصف بالشجاعة وميله للفروسية وإجادته للعب بالرمح وكان محباً للعمارة، فأجرى إصلاحات للحرمين المكي والمدني، وجدد خزائن السلاح بالإسكندرية وسور دمنهور وعمر زاوية البرزخ بدمياط، وقناة بالقدس، وأصلح قناطر المياه بمصر، وأنشأ قبة للشيخ رجب الشيرازى بالحجر سنة (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)، ثم مدرسته التى شيدها بين القصرين سنة (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)^(١) ووقف عليها أوقافاً عديدة منها هذه الدار التى شيدها بالجوزرية قبل سنة (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م).

موقع الدار

كانت هذه الدار تقع بدرب مشترك (ش بيبرس الآن) داخل زقاق بشير البزاز الذى ينفذ منه إلى أزقة حارة الجوزرية وأماكنها^(٢)، والذى تغيرت معالم هذا الزقاق، ولم يعد له أثر باق، وبالنظر إلى خريطة الموقع حالياً (ش ٧، ٨) يتبين أن هذا الزقاق قد كان يقع على يسار المار بشارع بيبرس متجهاً إلى شارع المنجلة، حيث كان يصل ما بين المسطاح والجوزرية، ولما كانت عطفة الصريف الغير نافذة الآن تقع بالجهة الشرقية من شارع بيبرس، فإنه من المرجح أن تكون هذه العطفة هى نفسها زقاق البشير والذى كان ينفذ منه إلى الجوزرية، وعلى ذلك

(١) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) وثيقة وقف السلطان برقوق ٥١/دار الوثائق القومية سطر ٢٠٦.

فإن موقع السلطان برقوق قد كان يشغل جزءاً من مساحة الأرض المقام عليها الآن مصنع النهضة للمنسوجات والذي أقيم فوق مساحة منزل محمد المحروقي.

الوصف المعماري: (انظر المسقط الأفقى التصورى: ش ٥٤)

كانت هذه الدار أو البيت تشتمل على باب مربع يغلق عليه فردة باب يؤدي إلى دهليز ينتهى إلى مسطبة يعلوها شباك حديد يجاورها باب يؤدي إلى سلم يؤدي إلى بسطة كبيرة تشتمل على عمودين وصواف، وبيت أزيار، وسقفت هذه البسطة بسقف خشبي مدهون بالألوان^(١) الزيتية المختلفة.

يتوصل من السلم المذكور إلى باب مربع عليه فردة باب يؤدي إلى مجاز يشتمل على بابين أحدهما يدخل منه إلى سلم يؤدي إلى طبقة صغيرة ومرافقه وحقوقها، والباب الثانى يؤدي إلى رواق محمول على ساباط^(٢) معقود قبواً^(٣)، يشتمل على إيوانين متقابلين فيما بينهما دور قاعة، والمجاز والرواق مسقفين بالخشب المدهون بالألوان الزيتية المختلفة، اما الإيوانين فيشتملا على طاقات مطلات على الطريق برسم الإضاءة والتهوية، والدور قاعة فرشت أرضيتها بالرخام الملون، واشتملت على صنف^(٤) وأتروفيات^(٥) وخرستانات^(٦) وخزائن وكلها مكسوة بالرخام الملون، أما أرضية الإيوانين فقد غطيت بالبلاط الكدان.

وقد اشتملت الدور قاعة على أربعة أبواب: أحدهما: باب الدخول، والثانى: يؤدي إلى مرحاض مرخم، والثالث: عبارة عن خرستان، والرابع: يؤدي إلى دهليز به باب يدخل منه إلى طبقة لها سقف خشبي مدهون بالألوان، وكذلك تشتمل على مرافق وحقوق وسلم يؤدي إلى مطبخ سفلى يخص الرواق المذكور، فيشتمل على بئر ماء معين ومرحاض ومرافق وحقوق، كما كان يشتمل الدهليز المذكور على سلم يصعد منه إلى طبقة بمرافق وحقوق ثم إلى السطح العالى.

(١) الوثيقة السابقة، سطر ٢٠٨.

(٢) انظر معجم المصطلحات: مصطلح رقم (١٣).

(٣) انظر المعجم: مصطلح رقم (٣٠).

(٤) انظر المعجم: مصطلح رقم (١٦).

(٥) انظر المعجم: مصطلح رقم (١).

(٦) انظر المعجم: مصطلح رقم (١٠).

عناصر الدار المعمارية

يشير الوصف الوثائقي إلى هذه الدار إلى أنه كان يتكون من ثلاث طوابق معزولة، ولم تتضمن الدار صحن تدور حولها أقسامها المتعددة، فقد حرص المعمار على أن ينفذ تصميم هذه الدار بحيث يؤدي نفس الأسلوب الذي يؤديه تصميم الدار الذي تدور وحداتها حول صحن أوسط، والذي يفيد في عدم رؤية من بالداخل بأسلوب مباشر^(١).

فقد صمم معمار هذه الدار عمارته؛ حيث يؤدي مدخله إلى سلم يؤدي إلى دهليز يؤدي إلى سلم على بسطته أعمدة صوان وبيت أزيار، ثم يؤدي السلم إلى رواق خاص بأهل الدار، مع إضافة مرفق ومنافع وحقوق يتوصل إليها بواسطة سلالم هابطة وأخرى تؤدي إلى طبقات إقامة في الطابق الذي يعلو الرواق الثالث ربما استغلت للأبناء، كما زود المعمار الرواق بفتحات إضاءة وتهوية عرفت بالطاقات ربما زودت بستائر خشبية - مشربيات - تسمح بدخول الهواء وتكسر حدة الضوء وتنتشر داخل قاعات الدار^(٢) مما يؤدي إلى إحداث تكييف طبيعي للدار.

٢ دور يحيى زين الدين أمير استادار (بالمسطح)

المنشئ

هو الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الرازق القبطي القاهري، ويقال: إنه ينتمي إلى أصل أرمني، ولد بالقاهرة قبل عام (٨٠٠هـ/١٣٩٧م) بعدة سنوات وتوفي سنة (٨٧٦هـ/١٤٦٩م).

نشأ بالقاهرة وتربى، وتدرّب في الوظائف الحكومية على يد كتبة الأقباط وخدم في عدة جهات منها نظر ديوان المفرد في رمضان (٨٣١هـ/١٤٢٧م)، ثم عزل وتولى وظيفة ناظر الاسطبل السلطاني (٨٤٢هـ/١٤٣٨م)^(٣). ثم عين في سنة (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) استاداراً^(٤).

(١) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ١٧٢.

(2) Lane Poole (S), ART Of The Sarcanes In Egypt London, 1886, P, 75-76.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، جـ ١٠، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(٤) اختص هذا الموظف بأمر البيوت السلطانية وما حوته من خزانات ومطابخ وشرابخانة، وكذلك أمر الحاشية والغلمان، فضلاً عن مصاحبته للسلطان في أسفاره، كما كان له الحكم في الغلمان، وإليه أمور الجاشنكير، وله أيضاً السلطة المطلقة في طلب ما يحتاجه كل من في بيت من البيوت من النفقان والكساوى وغيرها. انظر: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، جـ ١، ص ٤٤.

للسلطان جقمق، ثم محتسباً للقاهرة سنة (٨٤٣هـ/١٤٤٩م)، وعزل منها ثم أعيد إليها فى صفر (٨٥٨هـ/١٤٥٣م)، مع توليته وظيفة كاشف كشاف الوجهين القبلى والبحرى فى نفس العام والشهر^(١).

وقد أنشأ هذا الأمير عدة منشآت سكنية (٨٥٥هـ/١٤٥١م) منها ثلاثة شيدها فى مواجهة مسجده^(٢) بجوار مدرسة جقمق واربعة تواجههم بدرب المغشى^(٣) بالجهة الشمالية من خط المسطاح، ونظرا لخروج الدور الثلاثة المجاورة لمدرسة السلطان جقمق زمن الإنشاء عن حدود البحث ودخول الرابعة فيه، فإن السطور التالية تتناولها بالوصف والتحليل.

موقعها

كانت تقع هذه الدار داخل خوخة خوند التى كانت تقع بدرب ابن المغشى الذى عرف بعد ذلك بعطفة الست بيرم بالجهة الغربية من المسطاح، على راس السويقة التى عرفت بالصاحب والتابعة لحي المسطاح من الجهة الشمالية.

ولهذه الدار حدود أربعة القبلى منها كان ينتهى إلى الطريق المسلك وضم الواجهة، والحد البحرى والشرقى كانا ينتهيان إلى بعض الأملاك الخاصة بالجناب السعدى بن المغشى، والناصرى محمد ابن بيبرسن والحد الغربى ينتهى بعضه إلى الطريق وبعضه إلى ملك الجناب السعدى بن المغشى.

وهذه الأوصاف الحدودية تطبق على مساحة الأرض المشغولة الآن بعدة منشآت، والتى تقع شمال عطفة الست بيرم حيث تطل على الشارع المعروف خطأ الآن بالسلطان الصاحب، وعلى ذلك يكون الحد القبلى هو المطل على شارع درب سعادة، والبحرى يجاور بعض الأملاك التى شغلها الآن (مكتب بريد الغورية) والشرقى كان يجاور بعض الأماكن التى تطل على الشارع المعروف خطأ الآن بالسلطان الصاحب. أما الغربى فكان يطل على عطفة الست بيرم الآن. (انظر الخريطة ش ١٣).

(١) انظر لمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية: ليلى شافعى: منشآت القاضى يحيى زين الدين بالقاهرة،

مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآثار، ١٩٨٢م، ص ٧-١٨.

(٢) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ٢٣٤، الوثيقة ١١٠/ دار الوثائق القومية باسم الأمير

يحيى أمير استادار، سطر ٤٧٧ - ٥٠٣ وجه (وصف الدور الثلاثة).

(٣) انظر الفصل الثانى من الباب الأول.

الوصف المعماري : (انظر المسقط الأفقى التصورى، ش ٥٥)

اشتملت هذه الدار على واجهة مبنية بالحجر الفص النحيت، وكانت تضم بابان كان يتقدم أحدهما سلم حجر، والباب الثانى مقنطر يغلق عليه فردة باب له عتبة سفلية من الصوان، يؤدى هذا الباب إلى دركاة صغيرة لها سقف خشبى مكون من ألواح خشبية يتوسطه صرة، وهو مدهون بالألوان المتعددة^(١).

تشتمل هذه الدركاة على بابين مقنطرين يؤدى أحدهما إلى اسطبل يحوى طوالة لوضع طعام الخيل، والتي كان عددها آنذاك سبعة رؤوس، وكذلك اشتمل الاسطبل على بئر ماء معين مشتركة بين هذا الاسطبل واسطبل آخر يجاوره، بالإضافة إلى ذلك فقد اشتمل الاسطبل على حاصل يرسم الشعير ومتين وركابجاناه معلقة بدرابزين يصعد إليها بسلم طائر، وخصصت لحفظ الأدوات المتعلقة بالخيل من سروج ولجم وغيرها^(٢).

أما الباب الثانى الذى اشتملت عليه الدركاة فكان يؤدى إلى اسطبل يجاور السابق، والذى كان يشتمل على طوالة ومتين وركابجاناه وكرسى مرحاض^(٣).

والباب الثانى الذى اشتملت عليه الواجهة والذى يؤدى إلى سلم معقود بالبلاط الكدان يؤدى هذا السلم إلى طبقة بمنافع ومرافق وحقوق، لها سقف نقى مدهون مفروشة بالبلاط، تشتمل على خزانة نومية وأغانى ومطبخ، ثم يؤدى السلم إلى باب يدخل منه إلى دهليز به ثلاثة أبواب الأول منهما يؤدى إلى دهليز به بيت أزيار وكرسى مرحاض ومطبخ وسلم، وبالدهليز المذكور باب يؤدى إلى طبقة ومنافع وحقوق ومنه ايضا نصل إلى رواق يحوى إيوانا ودور قاعة ومنافع وحقوق^(٤).

التحليل المعماري :

يمثل تخطيط هذه الدار نمودجا ثانياً عرفه الحى خلال العصر الجركسى، يمتاز باشماله على ثلاثة طوابق، الأرضى منهم يشتمل على بابين أحدهما يؤدى إلى اسطبل الخيل وبعض المرافق والمنافع والحقوق، والأخر يؤدى إلى الطابقين العلويين المخصصين للسكنى.

(١) الأمير يحيى أمير استادار ١١٠/ دار الوثائق القومية، سطر ٤٦٤ .

(٢) الوثيقة نفسها، سطر ٤٦٥، ٤٦٦ .

(٣) الوثيقة نفسها، سطر ٤٦٧، ٤٦٨ .

(٤) الوثيقة نفسها، سطر ٤٧٧ - ٤٨٥ وجه.

وقد استعملت الأسقف المسطحة فى تغطية وحدات الدار مع زخرفتها بالزخارف التى تتفق وروح العصر بالألوان المتعددة.

بالإضافة إلى ذلك استعمل الخشب الخرز فى تغشية الفتحات الكبيرة فى الطبقة المشيدة علو الطابق الأرضى والمعبر عنها بالأغانى، وذلك لتمكين أهل الدار من مشاهدة ما يحدث خارج الدار، دون أن يراهم أحد.

ويبدو أن هذه الطبقة قد خصصت لاستقبال الضيوف، وإقامة الغرباء فضلا عن استخدامها لإقامة الأبناء.

أما الطابق الثانى بعد الأرضى فقد خصص للإقامة، واشتمل على طبقة للمبيت ورواق مكون من دور قاعة وإيوانين خصصا للجلوس فضلا عن المرافق والحقوق.

وعلى ذلك فإن هذا النموذج أيضا قد افتقد الصحن الذى تدور حوله وحدات الدار. وبجانب هذين النموذجين شيد القاضى يحيى ثلاثة دور أخرى مختلفة فى تخطيطها عن الدار السابق وصفها، حيث اشتملت الأولى منها على واجهة بها مدخل يؤدى إلى دركاة تؤدى إلى اسطبل ومرافق وحقوق وسلم يؤدى إلى طابقين الأول منهما يشتمل على رواق مكون من دور قاعة وإيوانين وخزانة ومرحاض ومطبخ، والثانى يشتمل على رواق مكون من دور قاعة وإيوانين وخزنتين للنوم وأغانى^(١). (انظر ش ٥٧).

والنموذج الثالث لدوره يشتمل على واجهة بها مدخل يؤدى إلى دهليز به بيت أزيار وباب يؤدى إلى رواق مكون من دور قاعة وإيوانين ومرحاض ومطبخ يجاوره ممر يؤدى إلى دهليز وطبقة. ينتهى الدهليز بباب يؤدى إلى رواق مكون من دور قاعة وإيوانين ومطبخ ومرحاض، ومن الرواق الأول نصل إلى سلم يؤدى إلى طبقة مكونة من إيوان ودور قاعة، ومنه أيضا نصل إلى السطح العالى.

وهذا النموذج شيدت وحداته جميعها فى طابقين اشتمل على معظمها الطابق الأرضى، ومن خلال سلم مسروق بالدهليز الذى يشتمل عليه الرواق الأول نصل إلى الطبقة التى شيدت علو الدهليز والمطبخ والمرحاض الخاصة بالرواق الأول^(٢). (انظر ش ٥٦).

(١) الوثيقة السابقة، سطر ٤٧٧ - ٤٨٥ وجه.

(٢) الوثيقة السابقة، سطر ٤٨٦ - ٤٩٥ وجه.

وهذه النماذج جميعها سواء ما شيد منها داخل الحى أو خارجه قد افتقدت فى تخطيطها لعنصر الصحن، ولعل ذلك راجعاً إلى صغر مساحة الأرض المنفذ فوقها التخطيط، وقد يتساءل المرء إذا كان هذا هو السبب فلماذا شيد القاضى يحيى زين الدين المذكور هذه الدور الثلاثة بجوار بعضها وكان من الممكن تشييد دار واحدة واسعة، ولعل السبب وراء ذلك راجع إلى أن هذه الدور هى دور للسكنى يؤجرها المنشئ لتدر رجباً يصرف منه على أوقافه، وعلى ذلك فإن الواقف قد اتخذ من الدار التى شيدها بالمسطح مقراً لسكنه إذا اشتملت على اسطبلين للخيل، مما يشير إلى كبر مساحتها، وبالتالي استغلال الطابق الأرضى كله لهذا الغرض والطوابق الأخرى للسكنى، ومن ثم افتقدت دار سكنه للصحن.

اما البيوت الكبيرة فقد اشتملت على عنصر الصحن مثل قصر الأمير بشتاك (١٣٣٩هـ/١٣٣٩م)، وقصر الأمير طاز (٧٥٣هـ/١٣٥٢م) والذى اندثرت بعض عناصره، ويتمثل تخطيطه فى صحن مكشوف يحيط به وحدات معمارية خدمية، وغيرها وبه أيضاً سلم يؤدي إلى المقعد، والطابق الثانى الذى يتضمن بعض الوحدات المعمارية الأخرى^(١) المطل بعضها على الصحن والتمثلة فى قاعة سكن وحجرات، ووحدات خدمية.

وبجانب هذه الدور تشير وثيقة وقف الأمير بيبرس الخياط إلى المشتكلات المعمارية لقصره الذى شيده بالجوزرية سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م)^(٢). بعد أن آلت إليه بعض المنشآت التى هدمها وأقام مكانها داراً كبرى وقصراً واسطبلأ على يسار المار بشارع بيبرس عند التقاؤه مع شارع المنجلة، وهذه المنشآت كانت تواجه مكاناً آخر يجاور زاوية الشيخ عثمان الخطاب على يمينه السالك من شارع بيبرس عند تقاطعه مع شارع المنجلة، والذى يشغله الآن بيت من القرن (١٩م) يمتاز بواجهته ومدخله الضخم المزدان بزخارف قاليبة ضخمة، وهذا المكان كان يواجه الحمام التى شيدها الأمير بيبرس على يسار المار بالشارع^(٣)، وقد اشتمل هذا المكان على واجهة كبيرة ضمت باين مقنطرين يعلوهما شبابيك من الخشب يؤدي أحدهما إلى اسطبل به متين ومنافع وحقوق. والآخر يؤدي إلى دركاة لها سقف نفى تنتهى بباب يؤدي إلى مجاز اشتمل على بئر ماء معين يجاورها باب يؤدي إلى الاسطبل يعلو

(1) Revault (J), Et Mayry (B), Op.cit, Fig, 16, 17.

(٢) الوثيقة السابقة، سطر ٥٧ وجه.

(٣) وثيقة وقف ٢٠٢/الأوقاف/الأمير على أغا، سطر ٤٧ مؤرخه (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).

البئر المذكورة مقعد مطل على المجاز.

أما المجاز فينتهي إلى زلاقة^(١) بجانبها مسطبة كبيرة تؤدي الزلاقة تؤدي إلى باب يكتنفه مسطبتان يؤدي إلى دركاة مرخمة على يمين وبيمار الداخلة إليها بابان، أحدهما يؤدي إلى مطبخ، والثاني يؤدي إلى دهليز مرخم به عنبر من الرخام يؤدي الدهليز إلى باب به كرسي خلاء ودهليز ثاني مرخم يشتمل على بيت أزيار، وباب مربع يؤدي إلى قاعة مرخمة كانت تشتمل على إيوانين ودور قاعة وسدلة يعلوها باذاهنج^(٢)، وقد سقت هذه القاعة بأسقف خشبية نقية مدهونة، وقد ضمت هذه القاعة أربع أبواب بدور قاعاتها الأول يؤدي إليها والثاني خرستان والثالث خزانة والرابع يؤدي إلى مطبخ يجاوره سلم يصعد منه إلى رواقين بكل منهما منافع وحقوق وطاقتات مطلات على الطريق^(٣). (انظر المسقط الأفقى التصورى ش ٥٨).

أما القصر الخاص بالأمير بيبرس، فقد شيده فوق الاسطبل الذى أوجده محل الدار والقاعة القديمة التى جدها الواقف فى مواجهة مدرسته من ناحية واجهتها الشرقية، المطة على شارع المنجلة (سدى حبيب النجار). وفى مواجهة القصر سكن الحريم الواقع على يمينه السالك من شارع بيبرس عند تقاطعه مع شارع المنجلة، والذى سبق وصفه، وقد خصص الأمير بيبرس هذا القصر لإقامته مع جنوده أو عماليكه الذين خصص لإقامتهم أربع طباق يتوصل إليها من الاستطراق الذى أوجده فوق الاسطبل الكبير^(٤)، والذى كان يؤدي إلى القصر، بعد أن كان الوصول إليها من خلال باب بالجهة البحرية من القصر. (ش بيبرس الآن) (انظر خريطة الموقع فى العصر المملوكى، ش ٩).

وقد هدم الأمير بيبرس جميع الأجزاء القديمة التى كانت تضم الدار الكبرى التى آلت إليه بطريق الشراء، حيث شيد بالطابق الأرضى محل القاعة الكبرى اسطبل كبير ومقعد، أسفله طبخانة وورشخانة ويواجه باب الدخول إليه باب آخر يؤدي إلى مبيت لطيف ومرافق وملاحق ربما خصصت لإقامة البواب، أما الجهة البحرية فقد كانت تضم بابين

(١) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (١٢).

(٢) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (٧).

(٣) الوثيقة نفسها، سطر ٨-١٨ وجه.

(٤) الوثيقة السابقة، سطر ٦١ وجه.

مقنطرين أحدهما كان يؤدي إلى اسطبل لطيف سد وفتح غيره من داخل القصر، أما الآخر فكان يؤدي إلى طباق الممالك الأربعة من خلال سلم هدمه وجعل هذا الباب يؤدي إلى طبلخانة، وبجانب ذلك أنشأ سبيل^(١) يحتل زاوية القصر حيث كان يطل على شارع بيبرس وشارع المنجلة (انظر المسقط الأفقى للقصر، ش ٥٨).

أما القصر فكان يتم التوصل إليه من خلال استطراق أوجده فوق الاسطبل الكبير، والذي كان يتوصل إليه من خلال السلم المؤدى إلى المقعد، حيث كان هذا الاستطراق يؤدي إلى باب مربع على يمين الداخل منه معالم مزملة، وباب يدخل منه إلى القصر الذى كان يشتمل على إيوانين كبيرين متقابلين بينهما دور قاعة كبيرة كسيت أرضيتها بالرخام الملون، على يمين الداخل إليها كان يقع الإيوان الكبير، والذي كان يتصدره سدلة كبيرة يكتنفها سدلتان لطيفتان، ويعلوها ثلاث قمريات وبأذانهج. أما السدلة الأخرى التى تكتنف سدلة الإيوان فقد كان يعلوها سبع طبقات برسم القمريات، والسدلة اليسرى الأخرى المواجهة كان يعلوها إثني عشرة قمرية، وقد كان يتصدر هذه السدلة شبك من الخشب الخرط مكون من درفتين من الخشب المدهون، وشباك آخر لطيف ثم قبة لطيفة تغطى هذه السدلة^(٢).

كما كانت تضم هذه السدلة باب يؤدي إلى مبيت كبير به شبك من الخشب الخرط مدهون، وكان يشتمل هذا المبيت على مستحجم وبیت خلاء (كنيف معقود)^(٣).

أما الإيوان الثانى فكان يقع على يسرة الداخل للدركاة فى مواجهة الإيوان الأول، وكان يضم سدلتان متقابلتان إحداهما على يسرة الصاعد إليه وكانت تضم شبك كبير يطل على معالم ما بقى من معالم القاعة الكبرى القديمة وساحة خربة، والسدلة الأخرى على يمنة الصاعد وكانت صغيرة اشتملت على صف من القمريات وطاقة كبرى فى المستوى العلوى منها، وقد غطيت أرضيات الإيوانين والمبيت والسدلات بالبلاط، اما الأسقف فكانت من الخشب النقى المدهون بأنواع الدهان على مربعات^(٤).

(١) الوثيقة نفسها، سطر ٨٤ وجه.

(٢) الوثيقة نفسها، سطر ٦٤-٦٨ وجه.

(٣) الوثيقة نفسها، سطر ٦٨ وجه.

(٤) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (٢٩).

ولكل إيوان كرىدى^(١) مدهون يشرف على الدور القاعة.

أما الدور قاعة فقد ضمت بجانب ذلك أربعة أبواب أحدهما: باب الدخول إليها، والثانى: يقابله وكان يدخل منه إلى خرابة، والثالث: يدخل منه إلى كرسى مستحم معقود، والرابع: يدخل منه إلى خزنة مبلطة بغير سقف، وعلى جانبى الدور قاعة الآخرين كانت توجد سدلتان متقابلتان اشتملت إحداهما على شباك كبير يطل على جهة مسجد برحبة كتبغا^(٢) يعلوه خمس قمريات يعلوه طاقة كبرى. أما السدلة الأخرى فكانت تضم شباك كبير يطل على الساحة الخربة الباقية من معالم القاعة الكبرى إلى جانب قمريات، وطاقة تحاكي ما يقابلها فى السدلة المواجهة، وقد سقفت الدور قاعة بسقف خشبى نقى مدهون حريراً تعلوه شخشيخة من الخشب الخرط، كالتى اشتملت عليها دور قاعة مدرسته والتى فقدت فى عصرنا الحالى^(٣).

ويتضح من وصف القصرين أن الأمير بيبرس قد خص قصر قائم بذاته للحریم وزوده بمقعد خاص يطل على مجاز داخلى، وكذلك المرافق والحقوق الأخرى، كما كان يتصل بالحمام التى أنشأها فى مواجهتها بجوار مدرسته من خلال باب خاص بالحمام يؤدى إلى قصر الحریم^(٤).

أما القصر الآخر فقد خصه لإقامته مع مماليكه حيث اشتمل على أربعة طباق، و Fraشخانة وطبخخانة، ومبيت صغير، ومقعد من ثلاثة عقود، بالإضافة إلى اشتماله على اسطبل وطبلخانة وسبيل.

وهذه المكونات المعمارية خصصت لإقامة أمير مع مماليكه، فوجود الفراشخانة والطبخخانة قد كان لخدمة عدد كبير من المقيمين بالقصر وهم هنا مماليك المنشىء، أما الطبلخانة فقد خصصت لحفظ الطبول وغيرها المستعملة فى المواكب العسكرية مما يشير إلى كبر عدد هؤلاء المماليك. أما المقعد فرمما خصص لجلوس الأمير بيبرس لاستعراض مماليكه

(١) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (٢١).

(٢) انظر: الفصل الثانى من الباب الأول.

(٣) الوثيقة السابقة، سطر ٧٢-٧٧ وجه.

(٤) حسن الباشا: المدخل، ص ١٧٢، ١٧٣، وأرنست كونل: الفن الإسلامى، ترجمة أحمد عيسى، ص ١١١؛ وكمال الدين سامح: المرجع السابق، ص ٧٣.

والوقوف على متطلباتهم، والمبيت فرماً خصص للبواب أو القائم على أمر الفراشخانة والطبخخانا، أما القصر فقد خصص للأمير بيبرس واستقبالاته باعتباره شخصية عسكرية مهمة فى ذلك العصر أى أنه قاصراً عليه وماليكه وضيوفه دون الحرىم.

وعلى ذلك فإن فصل إقامة الحرىم عن الرجال فى قصور مستقلة ىمثل عمارة الشخصىيات الكبيرة واسعة الثراء، والتى ىتطلب عملها مثل هذه العمارة كما فى هذا القصر. والذى سىصبح بعد ذلك نمطاً للعمارة العثمانىة السكنىة التى دمجت الحرملك مع السلامك فى منشأة واحدة، ولكن باستقلالية كاملة، بحيث ىختص الطابق الأول للرجال والثانى للحرىم، وىتصل بالأول بواسطة سلم داخلى^(١)، وفى أحيان أخرى كان ىقع السلامك فى الطابق الثانى والحرملك فى نفس الطابق، ولكن فى جهة أخرى من الدار أما القصر بتخطىطه المكون من قاعة وإىوانات وسدلات فهو نظام عرفته العمارة الإسلامىة فى مصر منذ القرن الثامن الهجرى^(٢)، حيث ىوجد فى القاهرة أقدم مثل لقاعة إسلامىة تعرف بقاعة عثمان كتحذا، وهذه القاعة تحلفت من منزل كبىر أنشأه محب الدين الموقع الشافعى سنة (٧٥١هـ/١٣٥٠م)، وامتلكه بعد ذلك الأمير كتحذا (١١٤٨هـ/١٧٣٥م)، وقد هدم جزء كبىر من هذا البىت على أثر تخطىط شارع بىت القاضى، ولم ىبقى منه سوى هذه القاعة المكونة من إىوانىن ودور قاعة وأسقف خشبىة جمىلة^(٣)، وهو نفس النمط الذى سارت على قاعات المنازل بعد ذلك.

وعلى ذلك ىكون هذا التخطىط الذى اشتمل علىه قصر الأمير بىبرس وقصر حرىمه قد مثل طرازاً آخر قد عرف بجانب طراز القصور أو البىوت التى اشتملت على مكان للحرىم وآخر للرجال فى مبنى واحد، مثل قصر بشتاك (٧٣٥-٧٤٠هـ/١٣٣٤-١٣٣٩م) وغيره من البىوت الأثرىة الباقىة، أو التى درست معالمها مثل التى تحدثت عنها فى الصفحات السابقة.

(١) حسن الباشا: المدخل، ص١٧٢، ١٧٣، أرنتت كونل: الفن الإسلامى، ترجمة أحمد عىسى، ص١١١،

وكمال الدين سامح: المرجع السابىق، ص٧٣.

(٢) كمال الدين سامح: المرجع السابىق، ص٧٦.

(٣) كمال الدين سامح: المرجع السابىق، ص٧٦.

٣) دار على أغا

المنشئ

هو الأمير على، أصله مملوك ليحيى كاشف تابع أحمد بك السكري الذى كان كتحذا عند عثمان بك الفقارى الكبير، تزوج بنت أستاذة وسكن بجارة السبع قاعات^(١)، ثم عمل كتحذا عند سليمان أغا الوالى إلى أن تقلد سليمان أغا المذكور أغاوية مستحفظان، فصار الأمير على مقبولاً عنده ويتوسط للناس عنده فى القضاء والدعاوى، فاشتهر ذكره وارتاح الناس إليه، وكان قليل الطمع لين الجانب، اشترى دار مصطفى أغا الجراكسة التى كانت تجاور الجامع المعروف بابن العربى، فقام بإنشائها وتجديدها^(٢) سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، وظل بها إلى أن توفى فى ٣ ذى القعدة سنة (١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م)^(٣).

الموقع

كانت هذه الدار تحتل المساحة التى تشغلها اليوم بقايا دار محمد المحروقى التى تبقت منها الواجهة فقط، واحتل مصنع منسوجات جزءاً كبيراً منها الآن. (انظر الخريطة ش ١٠). وقد كان يسكن هذه الدار قبل الأمير على الأمير مصطفى أغا الجراكسة^(٤)، ثم الأمير سليمان أغا الشهير بالبشلى^(٥)، ثم الأمير على كتحذا الأمير سليمان أغا حيث آلت إليه بطريق البيع^(٦)، ثم تملكها من بعده محمد المحروقى شاهبندر التجار^(٧).

الوصف المعمارى^(٨): (انظر المسقط الأفقى التصورى ش ٥٩، ٦٠)

كان لهذه الدار باب كبير معقود يتوسط الواجهة القبلىة، على جانبيه مكسلتان يؤطره

(١) كانت تحتل المساحة التى خلف المدرسة الأشرفية الآن بجوار جامع تغرى بردى.

(٢) الأمير على أغا كتحذا الأمير سليمان بك/ وثيقة وقف ٢٠٢/ الأوقاف مؤرخة بسنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، سطر ٧، والجبرتى: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٣) مات فى سمالوط بأسبوط فأحضره منها وكفونوه وصلوا عليه بالأزهر ودفنوه بالقرافة. انظر: الجبرتى: جـ ٣، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٤) على مبارك: الخطط، جـ ٣، ص ١٨٢، الجبرتى: جـ ٣، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٥) الوثيقة ٢٠٢/ الأوقاف، سطر ٩، ١٠.

(٦) الوثيقة نفسها: سطر ١٠.

(٧) محمد المحروقى/ وثيقة وقف ٢٠٢/ الأوقاف مؤرخة (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م).

(٨) الوصف وثنائى نظراً لاندراىس الدار.

جفت لآعب من الحجر الفص النحيت^(١) الأهر، ركب على هذه الفتحة فردة باب من الخشب النقى، يؤدي هذا الباب إلى دركاة تشتمل على مسطبة خصصت لجلوس البواب^(٢) فتح أسفلها خزانة، يجاور المسطبة باب يؤدي إلى حاصل، ومن الدركاة يصل المار إلى باب يؤدي إلى دهليز مستطيل على يسار المار به جنيئة الدار، وينتهي الدهليز إلى حوش كشف سماوى تدور حوله بعض ملحقات الدار التى منها طاحونة، وحمام واسطبل خيل، وسلم يؤدي إلى مقر الحريم، وبئر ماء معين، ومقعد يصعد إليه من سلم بالحوش المذكور، ومطبخ وحواصل كبيرة وصغيرة^(٣). (انظر توزيع هذه المرافق بالمسقط الأفقى التصورى، ش ٦٠).

أما الطابق الثانى فكان يتم التوصل إليه من خلال سلم المقعد المذكور، حيث كان يؤدي هذا السلم إلى بسطة كبيرة دائرية، تشتمل على باب مربع على جانبيه مكسلتان بغلق على هذا الباب فردة باب أطلقت عليه الوثيقة اسم باب عربى معشق قطع (أى أنه نفذت عليه الزخارف بأسلوب التجميع والتعشيق)، يؤدي هذا الباب إلى بسطة أخرى تؤدي إلى سلم آخر يؤدي إلى بسطة ثالثة كانت تشتمل على بايين، الأيسر يؤدي إلى المقعد السابق ذكره، أما الباب الأيمن فكان يؤدي إلى رحبة او فسحة بعضها مسقف والبعض الآخر بدون سقف، اشتملت هذه الفسحة على ثلاثة أبواب وسلم، أحد هذه الأبواب كان يتم التوصل منه إلى حجرة كبيرة (أودة) اشتملت على شباك كان يطل على الحوش السفلى السابق ذكره. ومن الباب الثانى يصل الداخل إلى كرسى راحة، أما الباب الثالث فكان يدخل منه إلى بيت قهوة.

ومن السلم الذى كان يجاور هذه الأبواب الثلاثة كان يتوصل إلى بسطة تؤدي إلى فسحة أو رحبة بدون سقف كانت تشتمل على أربعة أبواب، الأول منها كان يقع بالجهة اليسرى ويؤدي إلى المقعد. وهذا المقعد تميز بأرضيته المفروشة ببلاط الكدان، وتخطيطه المشتمل على إيوان واحد ودور قاعة مستطيلة، ويشرف على الحوش ببائكة من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين من الرخام^(٤). أسفل هذه العقود درابزين من الخشب النقى، اما الدورقاعة فقد

(١) عرف فى مصطلح وثائق ذلك العصر باسم تافريز حجرى، انظر: الوثيقة ٢٠٢/أوقاف، سطر ١٢.

(2) Lanepoole (S), Op.cit. P,76.

(٣) الوثيقة ٢٠٢/أوقاف، سطر ١١، ٢٠.

(٤) جيرار دى نرفال: رحلة إلى الشرق، ترجمة كوثر عبد السلام البحيرى، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ج٣، ص٢٦٣.

اشتملت على بابين من أحدهما كان يتوصل إلى خزانة معدة لوضع الصوانى والطشوت والأباريق والكراسى، اما الباب الثانى فكان يؤدى إلى فسحة مسقفة بالخشب النقى المدهون كان بها بالجهة اليسرى باب يؤدى إلى حجرة كبيرة كانت تطل على الحوش السفلى، وبالجهة اليمنى اشتملت على بابين متجاورين بجوارهما مزيرة بجاورها دهليز صغير به ثلاثة أبواب أحدها على اليمين يؤدى إلى حمام صغير وعلى اليسار كرسى راحة.

يجاور الدهليز المذكور سلم يؤدى إلى فسحة كانت تشتمل على ثلاثة أبواب أحدها كان يؤدى إلى قاعة كبيرة تحوى إيواناً واحداً، ودور قاعة بها خزانة للنوم، وسدلتان اشتملت كل واحدة على شباك خرط يطل على الطريق (سكة الشرايبي الآن). أما الدور قاعة فقد اشتملت على شباكين خرط يطلان على الطريق الموصل للجوذية.

هذا وقد سقف المقعد بسقف خشبى نقى، واشتمل المقعد بجانب ذلك على أربعة دواليب متقابلة برسم الكتب. وقد كان يتم التوصل إلى الحرمك من خلال سلم بالمقعد وسلم آخر بالحوش السفلى يؤدى إلى المقعد والحريم.

وهذا السلم كان يؤدى إلى بسطة بها سلم يصعد من عليه إلى بسطة ثانية تؤدى إلى فسحة كبيرة بها جزء مسقف، والآخر بدون سقف، اشتملت هذه الفسحة على بابين متجاورين، يدخل من الأول إلى "أودة" والآخر يؤدى إلى "أودة" مشابهة بأحد "الأودتين" حمام معقود بجانبه كرسى راحة، كما اشتملت الفسحة المذكورة على سلم يؤدى إلى فسحة بدون سقف، بها ثلاث أود يدخل من أحدهم إلى قصر صغير يطل على الحوش، به خزانة نومية ومطبخ ورفوف وخزانات للكتب وغيرها، كذلك اشتملت الفسحة فى أقصاها على يسار الداخل إليها على دهليز كبير بدون سقف، به باب يؤدى إلى قاعة كبرى اشتملت على إيوانين ودورقاعة.

وسدلتين وخزانة نومية، بدور القاعة المذكورة باب يؤدى إلى كرسى راحة ومزيرة يجاورها باب يؤدى إلى حمام كبير، اشتمل على بيت أول يتوصل منه لبيت الحرارة، وقد تميزت هذه الحمام بالأسقف المعقودة التى يتوسطها الحمامات الزجاج، كذلك فقد فرشت أرضيتها بالرخام الملون المستورد (المعبر عنه بالإفرنجى)^(١)، كذلك فقد اشتملت على حنفيه من

(١) انظر: الوثيقة السابقة، سطر ٣٥.

الرخام بها بزبوزان من النحاس أحدهما للماء البارد ، والثاني للماء المسخن. بجانب ذلك اشتملت الحمام على دست نحاس مخصص لوضع الماء البارد والساخن لمد الحمام باحتياجاتها من المياه.

ومن الدهليز المذكور يصل المار به إلى مزيرة في نهايته، وباب يجاورها يؤدي إلى قاعة كبرى تتكون من أربعة أواوين ودور قاعة تتقدمها فسحة مسقفة بالخشب المدهون، منها يصل المار إلى باب يؤدي إلى خزانة كبيرة بداخلها دهليز يؤدي إلى كرسى راحة. أما المرافق فقد خصصت بعضها داخل هذه الكتل المعمارية، بعضها شيد بالطابق الأرضى، وخصص المعمار للوصول إليها سلم هابط من الدهليز -الفسحة الأولى- حيث كان يؤدي إلى مطبخ يشتمل على نضبة كوانين وكرسى راحة وبئر ماء معين وحاصل، بالإضافة إلى بعض الحجرات المعدة للتخزين التي اشتمل عليها الدهليز المؤدى إلى الحرم الملك المتصل بسلم باب سر الحريم، وقد كان يجاور إحدى هذه الحجرات دهليز اشتمل على كرسى راحة وحمام وأودة عجين ومستوقد الحمام، اشتمل هذا المستوقد على سلم يؤدي إلى باب يدخل منه إلى حجرة، كما فتح على الدهليز باب يؤدي إلى قاعة كبرى تحوى إيوانين ودور قاعة اشتملت على صفة^(١) معدة لوضع القلل علوها ملقف يجلب الهواء لتبريد المياه داخل القلل.

وبجانب ذلك اشتمل الدهليز الذى يتوصل إليه من باب سر الحريم على سلم يؤدي إلى فسحة كبرى اشتملت على مزيرة، وكرسى راحة، وباب يؤدي إلى قاعة مكونة من إيوان ودور قاعة، وثلاث سدلات، بالقاعة المذكورة خزانة نومية، وبالفسحة سلم يؤدي إلى فسحة أخرى بدون سقف، وقد أحيطت الفسحة الأولى بدرابزين من الخشب النقى المدهون، وفرشت أرضيتها بالرخام الملون، ومن الفسحة الثانية يصل المار إلى فسحة بها باب يؤدي إلى قصر علو المقعد، أى فى الطابق الثالث من الدار، ويطل على الحوش. وهذا القصر كان يسقفه سبعة قبب أو قباب ملمعة بالذهب والألوان الأخرى كما غطيت حوائطه بالقيشاني^(٢).

(١) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (١٦).

(٢) الوثيقة السابقة، سطر ٢١-٤٨.

التحليل المعماري

دارت العناصر المعمارية لهذه الدار حول الفناء الأوسط، حيث خصص المهندس هذا الطابق الأرضى لكى يشتمل على بعض الوحدات الخدمية التى ترتبط بالمشى وأهل داره، مثل الاسطبل المخصص بحيث يكفى لثمانية رؤوس خيل، بجانب حواصل عديدة بلغت عدتها عشرة حواصل خصص بعضها لخزن متعلقات الدار وبعضها لحفظ الطعام المخصص للخيل، وأخرى لبعض المهام التى تخص وظيفة المشى.

كذلك ضم هذا الطابق مطبخ وطاحونة وجنية ومنظرة وبئر ماء معين، وهذه الوحدات خصص بعضها لإعداد طعام سريع للجلوس بالمنظرة التى شيدت فى الغالب لاستقبال ضيوف المشى^(١)، أما الطاحونة، فخصصت لتجهيز بعض المواد اللازمة لأهل الدار من حبوب^(٢) وغيرها، أما الجنية فقد خصصت لبعض الأشجار والخضروات التى قد تلزم أهل الدار فى الحياة اليومية بجانب صفتها الأخرى، والتى تفيد فى تلطيف حرارة الجو صيفاً، كذلك، فإن البئر التى ضمتها هذه الدار قد وقع عليها مهمة إمداد الدار باحتياجاتها من المياه.

وهذه العناصر وجدت فى معظم الدور التى ترجع لهذا العصر، فقد اشتمل عليها منزل الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى (السحيمى) (١٠٥٨-١٢١١هـ/١٦٤٨-١٧٩٦م) بالدرب الأصفر، ودار على أفندى لبيب (١٢هـ/١٨م) بدرب اللبانة، والمسافرخانة بالدرب الأصفر (١١٩٤هـ/١٧٧٩م)، وغيرها^(٣).

أما الطوابق العليا فقد اشتملت على العديد من الوحدات السكنية المعبر عنها بلفظة 'قاعة سكني'، والتى غالباً ما كانت تشتمل على إيوان ودور قاعة وحمام ومطبخ، وكرسى راحة، وأودة كلار، وفى بعضها إيوان وخزنة نومية بجانب بعض الملحقات الخدمية السابق

(١) حُرِّف اللفظ وأصبح يطلق عليها اسم المنذرة فى معظم قرى مصر. وهذه المنذرة عادة ما تكون فى الطابق الأرضى، ويرتفع سقف جزءها الأوسط المعروف بالدور قاعة فى بعض الأحيان إلى ارتفاع ثلاثة أدوار، وتتكنن المنذرة من إيوانين جانبيين وبينهما الدور قاعة، التى غالباً ما يسقفها شخشيخة أو قبة صغيرة بجوانبها مشربيات للإضاءة والتهوية. انظر: كمال الدين سامح: المرجع السابق، ص ٧٥، وجيرار دى نرفال: رحلة إلى الشرق، ج ٣، ص ٢٦٢.

(٢) جيرار دى نرفال: المرجع نفسه، ص ٢٦٢.

(3) Revault (J) Et Maury (B), Op.cit Tome III, 1979, Fig. 36, 37, 38, 40, 41.

ذكرها. وهذه الوحدات شغلت الطابق الثانى من الدار، ولعل كثرتها تشير إلى أن هذا الرجل قد كان متزوجا بأكثر من زوجة، وإنه كان لديه عدد غير قليل من الأولاد، نظرا لتعدد وحدات الدار السكنية والخدمية.

ومما يجدر ذكره أن هذه الدار قد ضمت أكثر من حمام فى سلاملك الرجال الذى شيد فى هذه الدار فى الطابق الثانى بجوار المقعد، ومنه كان يتوصل إلى الحرملك الذى شيد كذلك فى الطابق الثانى من الدار والثالث أيضاً، والذى اشتمل كذلك على أكثر من حمام كانت تشتمل على مكونات الحمام العامة^(١) من حيث وجود بيت أول وبيت الحرارة، ومستوقد لتسخين المياه مما يدل على عظم جاه هذا الرجل وعلو قدره بين أهل عصره وكيف لا يكون كذلك وهو من الأمراء المميزين فى ذلك العصر.

إلى جانب ذلك اشتملت الحمام على حنفية من الرخام ببزبوزين أحدهما للماء البارد، والآخر للماء الساخن مثلما هو الآن فى عصرنا الحاضر، أما الطابق الثالث فقد شيده قصرا لحريره وسقفه بالقباب التى بلغ عدتها سبع قباب ملمعة بالذهب والألوان الأخرى^(٢)، وبعض هذه الوحدات قد وجدت فى الكثير من العمائر السكنية التى تعود لهذا العصر مثل (المقعد - الحمام - القاعة السكنية - التخبوش - المنذرة). مثل منزل جمال الدين الذهبى (١٠٤٧هـ / ١٦٣٧م) بجارة حوش قدم، والمسافر خانة بشارع الجمالية (١١٩٤هـ / ١٧٧٩م)، ومنزل السنارى (١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م) بجارة منج بالسيدة زينب، ومنزل السحيمى بالدب الأصفر^(٣)، وغيرها نماذج كثيرة، تمتاز جميعها بالفخامة والثراء العمارى ..

٤) منزل محمد الحروقى :

المنشئ :

هو الحاج محمد بن أحمد بن أحمد الشهير بالحروقى، تقلد وظيفة أبيه بعد وفاته كأمين للضريخانة المصرية، ثم تقلد بعد ذلك منصب شاه بندر التجار شأنه فى ذلك شأن أبيه وذلك فى سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف (١٢٢٨هـ / ١٨١٣م)، وصار من أرباب الحل

(١) عن ذلك انظر: جيار دى نرفال: المرجع السابق، ج٣، ص ٢٦٥.

(٢) اتخذت القبة فى المنازل كرمز للسماء، عن ذلك، انظر : توفيق عبد الجواد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج٣، ص ١٩٩.

(3) Revault (J) , et Maury (B), op. Cit. Fig, 27,28.

والعقد مثل أبيه^(١).

ومن منشآته: الدار العظيمة التي شيدها بركة الرطلى، والدار التي اشتراها من الأمير على أغا يحيى والسابق وصفها، وجعل بها ساباطا يصل من عليه إلى دار أبيه التي كانت تقابلها (محل دكة الحسبة)^(٢) حيث خصها بالحريم، فصارت داره نخص إقامته وضيوفه، ودار أبيه تخص الحريم.

وقد هدم الحاج محمد المحروقي دار على أغا وشيدها بتخطيط جديد، كما أشارت إلى ذلك وثيقة الوقف^(٣)، وعرفت هذه الدار، والمقابلة لها بدارى المحروقي، وقد مات الحاج محمد المحروقي بعد سنة (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م) بعد أيام من مرضه.

الوصف المعماري : (انظر المسقط الأفقى التصورى، ش ٦٦)

يحتفظ هذا المنزل بواجهته الرئيسية التي تجاور الجامع المعروف بابن العربى. (ش ٦١) (لوحات ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١).

ويبلغ ارتفاع هذه الواجهة (١٢م) وعرضها (٦٠، ٩م) يتوسط هذه الواجهة المدخل وهو من المداخل المقلنة^(٤) (ش ٦١) بعقد موتور مزدان بمقرنصات قليلة العمق فى ثلاثة صفوف يحدد هذا العقد وكوشتيه جفت لآعب يبدأ من أسفل العقد بشكل نجمتين خماسيتين، ثم يسير الجفت مكونا أشكال سداسية، أما كوشتيه فقد شغلت بزخارف نباتية محفورة على الحجر، ينتهى هذا العقد بميمة مفتاحية تكونت من التقاء الجفت مع التفاريز الحجرى الذى يعلو العقد، وهى ميمة كبيرة يخرج منها أربع ميمات ويتوسطها زخرفة منحوتة فى الحجر تمثل شكل مروحى. (ش ٦٤، لوحة ٧٠).

يعلو هذا التفريز الحجرى زخرفة نباتية منفذة على الحجر بحيث تبدو بارزة تمثل اشكال قواقع وفروع نباتية ومراوح نخيلية، وهذا الشكل محاط بشكل هندسى على هيئة رقعة الشطرنج، أسفل كل ركن منها زخرفة يطلق عليها اسم النهود التى حفر عليها البارز ما يشبه المراوح. (ش ٦٣، لوحة ٧٠).

(١) الجيرتى : المصدر السابق، ج٢، ص ٣٢٦ .

(٢) الجيرتى : المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٢٦ .

(٣) محمد المحروقى، وثيقة وقف ٩٠٢/ وزارة الأوقاف، مؤرخة ١٨ صفر (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م)، سطر ٢٠.

(٤) الوثيقة، سطر ٢٤.

ويغلق على المدخل فردة باب خشب نقى مدهون بالألوان المختلفة ضاعت معالمه الآن، وفتحة الباب عرضها (١٠, ٢م)، وارتفاعها حاليا (٤٠, ٢م)، وضعت هذه الفتحة داخل عم اتساعه (٣, ٥٠م) وعمقه (٨٠سم) ينتهي هذا الحجر من أعلاه بعقد كثير العقود^(١) مقصص (مغربى)، ارتفاعه (٢٠, ٥م)، واتساعه (٣, ٥٠م) يؤطره جفت لاعب ينتهى إلى ما قبل أرضية الواجهة بمقدار (٢٠سم)، ويخرج من هذا الجفت على يمين ويسار العقد المغربى حشوة حجرية يحدها جفت لاعب ويتوسطها دائرة يتوسطها زخرفة شعاعية بالحفر البارز ويبلغ عرض كل حشوة (١, ٥٠م). (انظر ش ٦٥، لوحة ٦٩).

يعلو المدخل نافذة بارزة يغطيها ساتر من الخشب تنتهى برفرف خشبي، ولها أرضية خشبية يزخرفها من أسفل زخارف هندسية مكونة من أطباق نجمية متكررة، ويرجح أنها كانت مطعمة بالسن والزرنيشان نظرا لعمق وحدات الطبق النجمى. (انظر ش ٦٢، لوحة ٧١). يعلو هذه المشربية نافذة مستطيلة مقسمة إلى أربع نوافذ مستطيلة عليها أرماع حديدية ارتفاع كل نافذة (١, ٥٠م)، وعرضها (٩٠سم)، أما المشربية فيبلغ ارتفاعها (٤م)، وعرضها (٨٠سم).

يؤدى هذا المدخل إلى دركاة كانت تشتمل على مسطبة خصصت لجلوس البواب، وباب يؤدى إلى حوش كشف سماوى مبنى دايير جهاته الأربع بالحجر الفص النحيت الجديد الأحمر، شأنه فى ذلك شأن الواجهة، وزعت حول هذا الحوش وحدات الدار حيث كان يقع بالجهة اليمنى تختبوش^(٢) مركب على عمود من الرخام يقابلة تختبوش آخر له رواشن خشبية تطل على الحوش. وقد اشتمل الحوش على بعض المرافق مثل: الطاحونة والاسطبل والحواصل وحجرة سبيل مصاصة وجينية وكراسى راحة وبئر ماء. وقد اشتمل التختبوش الأيمن على إيوان واحد ودور قاعة كان يتوسطها فسقية مفروش أرضها بالرخام الملون. كذلك اشتملت الدور قاعة على بايين من الأول كان يدخل إلى خزنة ومن الثانى إلى دهليز اشتمل على كرسى راحة بمنور ساقط وسلم يؤدى إلى مساكن الحريم.

وبالجهة المقابلة قاعة كبرى تجاور التختبوش الثانى تحوى إيوانين ودور قاعة لها واجهتان من الخشب الخرط، أحدهما تطل على الحوش، والثانية تطل على التختبوش. وقد كان

(١) محمود خليل نايل، محمد أمين عبد القادر: تاريخ فن العمارة، جـ ١، ص ١٠٦، ١٠٧.

يعلو كل تحتبوش مقعد يطل على الحوش، ويفتح عليه بواجهة معقودة فى العادة، كذلك ضم الحوش سلام تؤدى إلى مقر الحريم التى اشتملت على ثلاث قاعات صغيرة أحداها مطلة على جنيئة المنزل وهى تعلق المقعد أى فى الطابق الثالث، والإثنين الآخرين كانتا تعلوان القاعتين اللتين بالحوش، وقد ضمت أماكن الحريم بعض الملحقات مثل الأروقة والحواصل (أودكلار) والحمامات التى تكونت من بيت أول وبيت حرارة، وغطيت بالقباب واشتملت على بزاييز من النحاس تمد المستحم باحتياجاته من المياه الباردة والساخنة، وضمت أيضاً مطبخاً لتجهيز الطعام بجوار الحمام^(١).

وقد فرشت أرضيات معظم هذه الوحدات بالرخام الملون والأبيض، وعلى الرغم من تخصيص منزل والد المنشئ للحريم إلا أن هذا الطابق قد خصص أيضاً لهذا الغرض، فى حالة خلو الدار من الغرباء (ضيوف المنشئ).

وقد درست معالم هذه الدار وشغلها الآن مصنع لتجارة وتصنيع الأقمشة (مصنع نهضة مصر). (الخريطة ش ١٠).

ومما سبق نلاحظ أن المنشئ قد هدم الدار الخاصة بالأمير على أغا يحيى هدماً كلياً وتغير معه تخطيط الدار تغييراً شاملاً وعلى الرغم من أن دار على أغا السابق وصفها شيدها فى سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، واستمرت هكذا إلى أن اشتراها الحاج محمد المحرقى. (أى استمر ما يقرب من ٣٥ سنة فقط) إلا أنه هدمها على الرغم من فخامة مبانيها وتخطيطها. ولعل السبب فى ذلك راجع إلى شراؤه لأربع قطع كانت تجاور الدار^(٢)، ومن ثم عمل على إضافتهم إلى مساحتها مما دعا إلى هدم الدار والاستعانة بما أخرجته من أنقاض فى تشييد الدار بتخطيط جديد.

التحليل المعماري

اشتمل هذا التخطيط على قاعات استقبال بالطابق الأرضى عرفت بالتخبوش، ومقاعد علوية يعلوها قاعات إقامة للحريم. بجانب بعض المرافق والملاحق الخدمية، وهذا التكوين يتشابه مع تخطيط كل من منزل السحيمى بالدرب الأصفر الذى اشتمل على تحتبوش يطل

(١) الوثيقة السابقة، من سطر ٢٤-٣٤.

(٢) الوثيقة السابقة، سطر ١٩.

على الصحن، ومنذرة مواجهة تطل أيضاً على الصحن، ومنذرة جانبية أخرى تطل على الصحن، ومنذرة أخرى تجاور التخبوش، وهذه المناظر الثلاثة تمتاز بحجمها الصغير، أما المنذرة التي بالجهة الشمالية الغربية فتمتاز بكبر حجمها، ويتوسط دركاتها الفسقية، وهذه القاعات المخصصة للاستقبال يعلوها قاعات أخرى سكنية ووحدات خدمية^(١)، كذلك نرى ذلك في المسافر خانة، والذي يتضمن تخطيطها الأرضي منذرة للاستقبال تشرف على صالة وكذلك على الجنيئة، كما يتضمن على تخبوش يطل على الصحن ويتصل بالمنذرة، وبجانب ذلك اشتمل التخطيط على قاعة سكنية. وبعض الحجرات والوحدات الخدمية^(٢)، بما يتفق وتخطيط الدار الخاصة بالحاج محمد المحروقي، أما الطابق الثاني فقد اشتمل على قاعات للسكنى وحمام خاص بأهل الدار مثل الدار السابقة.

ومما سبق يمكن الخروج بهذه النتائج:

(١) اشتملت الأحياء موضوع الكتاب على العديد من أنماط المنازل المخصصة لسكنى الأمراء وغيرهم.

(٢) افتقدت بعض أنماط المنازل لعنصر الصحن الذي تدور حوله معظم عناصر الدار التخطيطية، كما افتقدت بعضها لعنصر المدخل المنكسر واستعاض عن ذلك بإيجاد نوافذ مفتوحة مغطاه بستائر خشبية تشرف على الطريق، وكذلك بوضع سلم يلى دركاة الدخول يؤدي إلى وحدات الدار التي تلى السلم.

(٣) اشتملت عمارة بيبرس الخياط السكنية على قصر مخصص لإقامة الحريم في مواجهة قصر بيبرس المخصص لاستقبالاته.

(٤) ضم قصر الحريم عنصر المقعد الذي يطل على مجاز يلى دركاة المدخل، وليس على الحوش كما في معظم العمارة السكنية المملوكية والتي منها قصر بيبرس نفسه المواجه لقصر الحريم.

(٥) ظهرت على دار محمد المحروقي بعض التأثيرات المغربية المتمثلة في العقد كثير النصوص الذي يتوج مدخل الباب المؤدى إلى الدار، ولعل السبب وراء ذلك راجع إلى تأثر الحاج محمد المحروقي في ذلك بدار والده المواجهة لداره، والتي آلت إلى أبيه بعد وفاة الحاج

(1) Revault (J), Et Maury (B), Op.cit, Fig 27, 28.

(2) Ibid. Fig, 36, 37.

أحمد بن عبد السلام المغربي مشيد الجامع المواجه لدار أحمد المحروقي، ومن ثم ظهرت بعض التأثيرات المغربية في الجامع المعروف بابن العربي ومنزل المحروقي الصغير (محمد المحروقي)، بالإضافة إلى ذلك فإن التواجد المغربي داخل الجوزية كان كبيراً مما يعزى إليه ظهور هذه التأثيرات.
